مطمورة عديلة

حكاوي الحرب

أصوات من مخيّم أدري



حكاوي الحرب

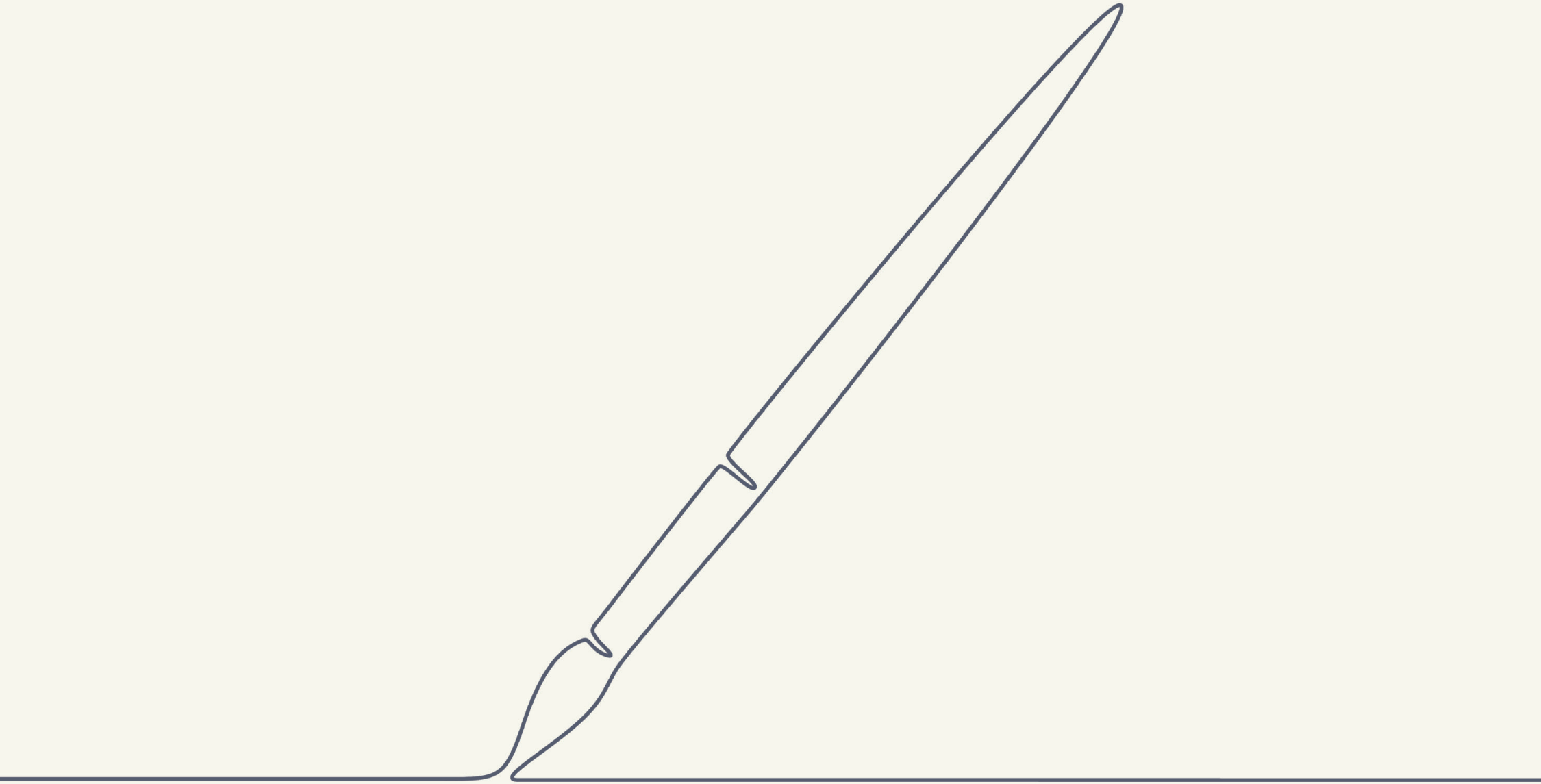
أصوات من مخيّم أدري





@Matmoora

الغلاف: حكاوي الحرب (2024)، يوسف الأمين



إهـــــداء

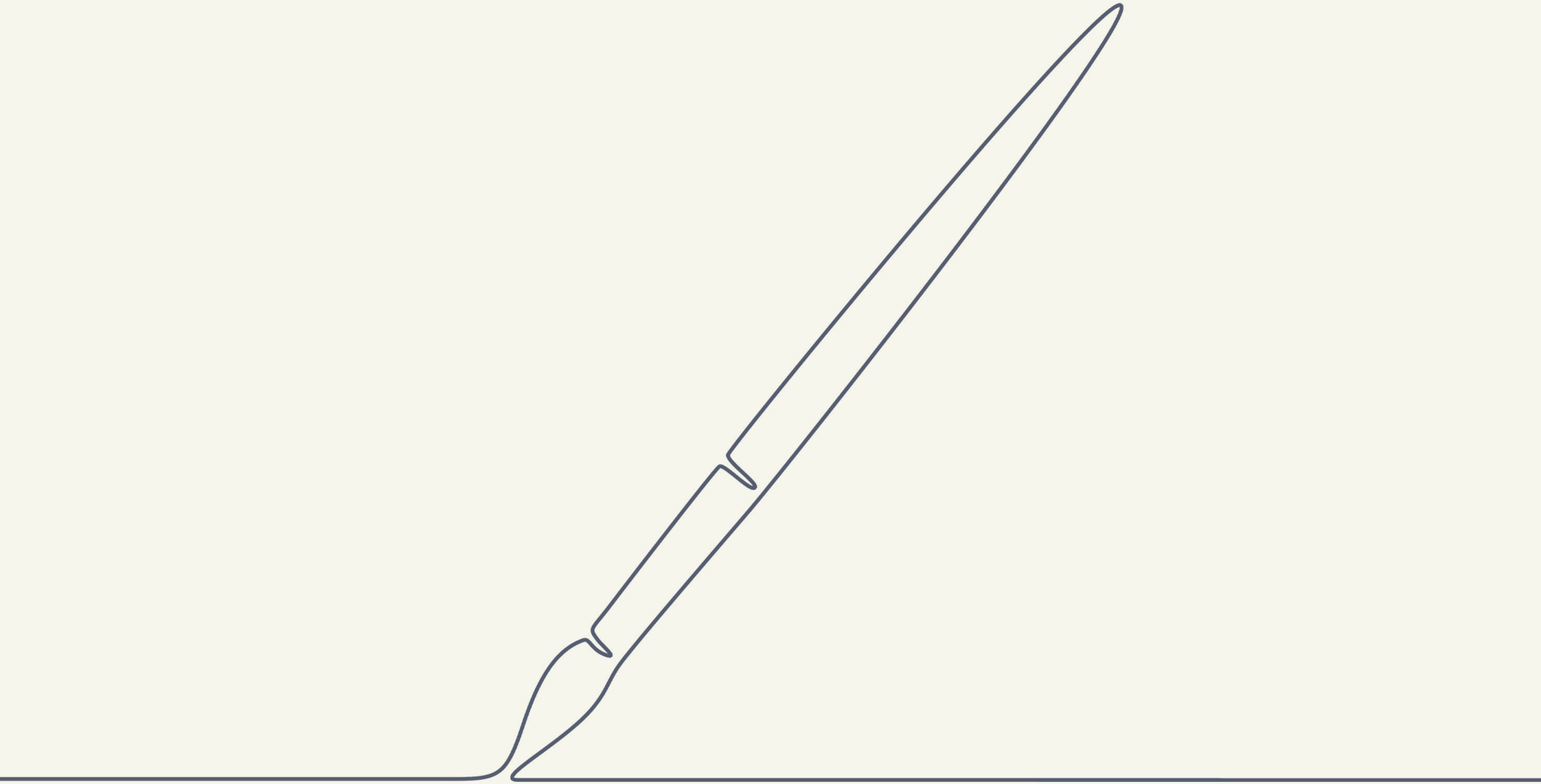
إهداء خجول ومتواضِع إلى ضحايا الحرب في غرب دارفور:

أن تُسمع قصة ليس كأن تُعاش، ولكن أن تُحكى نفس القصة يعني أن تٌخلّد. أن تُقام شاهداً على حياة أصحابها. ما كانوا عليه، ما عاشوه، والطرق التي ضاعت فيها خُطاهم.

إلى الأرواح التي سلبتها الحرب:

أنتِ باقية. وكذلك الحق في الحياة والحق في العدالة.

إليكَ وإليكِ



الفهرس

12 دم ومصابين وجثث

18 أشباح القبيلة

23 معجزات وقوة إرادة

32 أطراف مبتورة

36 أرق

42 أسئلة بلا إجابات

47 حق تقرير المصير

تـــوضـــيـــح

جميـع القصـص والأحـداث في هـذا الكتيـب حقيقيّـة، حدثـتْ لأشـخاص حقيقيـين..

ومع امتداد أجل الحرب لا زالت تحدث لآخرين في هذه اللحظة.



مـــقـــدمـــة

الطلقة الأولى الاتضربت في المدينة الرياضية يوم 15 أبريل، 2023 ما كانت إنذار لبداية الحرب في الخرطوم بس، لكن رسالة تهديد لأي زول وزولة ساكنين في ولايات دارفور. التعقيدات التاريخية والقبلية وهشاشة الوضع الأمني في دارفور خلّى اندلاع الحرب بين الجيش والدعم السريع في الخرطوم مؤشر خطير على مصيبة أكبر وشيكة الحدوث في إقليم متعوّد على استقبال مصائب مصدّرة من النخبة الحاكمة في الخرطوم. من سنة 2003، كان نظام الإنقاذ بيرتكب جرائم حرب في دارفور وبيتعمد افتعالها بدوافع العرق ومحرّكات القبيلة. وصل عدد ضحايا الجرائم دي لي 300 ألف قتيل/ة وتلاتة مليون مشرّد/ة حسب تقديرات الأمم المتحدة.

حتى بعد سقوط نظام الإنقاذ في 2019، واصلت أياديهو المُخْلصة في سكب الدماء وتقويض التحوّل الديمقراطي في السودان، ومعاها، استمر نزيف إقليم دارفور طوال الفترة في أحداث هنا وهناك، آخرها حرب 15 أبريل 2023. والمُحصّلة، زي كلّ مرّة، هو نزوح المواطنين من إقليم دارفور (خاصّة ولاية غرب دارفور). التقديرات بتقول إنّو ما يقارب 400 ألف شخص نزحوا لدولة تشاد المجاورة، بالإضافة إلى مئات الآلاف من القتلى والجرحى وضحايا الإغتصاب، في أكبر فاجعة بيشوفها الإقليم من 2003.

القصص الموجودة داخل الكتيّب ده بتحاول تنقل صورة إنسانيّة للفظاعات الحصلت لإنسان دارفور بعد يوم 24 أبريل؛ ماف أحسن من إنّك تسمع الضحايا وهم بيحكوا الأحداث المرّوا بيها. حتسمع قصّة زينب، مثلاً، لمّا شافت قوّات الدعم السريع بتقتل خالها الجريح بلا أيّ مقدّمات. حتشوف، محمد أستاذ ورحلتو لحدّي تشاد اللي أغلبها كان حَبَي بيدّينو بعدما ضربتوا نفس القوّات دي في رجلو. حتسمع معاوية وهو بيتساءل -بعد الحصل ليهم في حي (أم ضوينات)- عن الفرق بين دمّ الإنسان السوداني والأوروبي. وحتسمع غيرهم كتير بتكلّم عن الجثث، الأحلام الماتت، الاغتصاب، وحق تقرير المصير.

كلّ القصص دي حقّت أشخاص بتكورِك ليها زمن لكن ماف زول سامع ليهم حِس. التعتيم الإعلامي الحاصل في

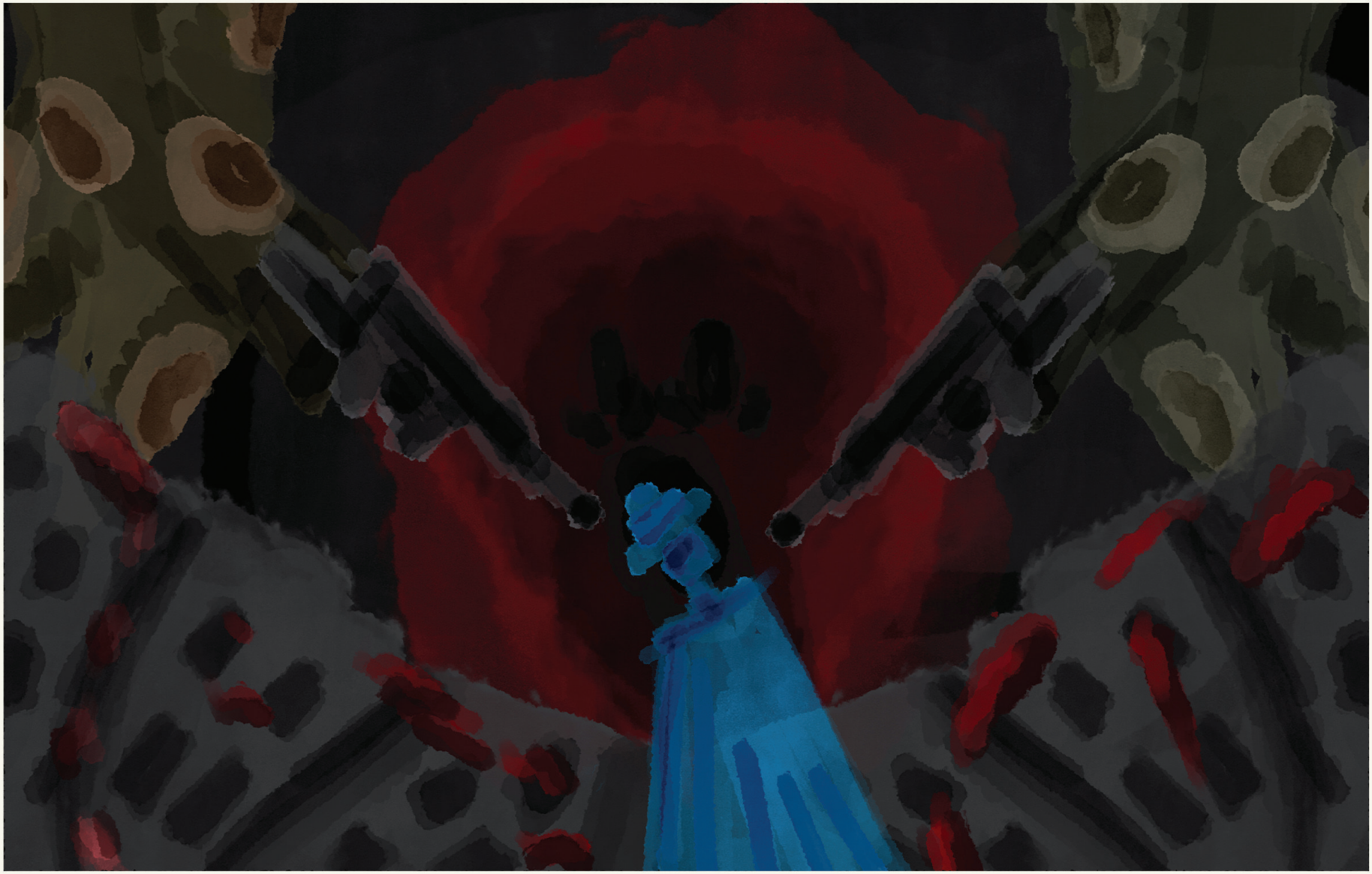
دارفور، غياب شبكات الإتصال بكل أشكالها، بالإضافة للزخم الإعلامي المسلّط في حتّات تانية مانع الأصوات دي من إنّها تصل لكل السودانيين عشان يشوفوا ويدركوا حجم الفاجعة ويعرفوا إنّو قوّات الدعم السريع (وغيرها من المليشيّات والقوّات) ما بس مستهدفة إنسان وسط السودان، بل عندها محركاتها القبلية والعرقية بجانب سعيها في تحقيق مصالحها.
دي القصص القدرت تصل مخيّم (أدري) في الحدود التشاديّة (الوجهة النهائيّة لأغلب الضحايا والناجيين). الحتّة هناك أقل حاجة ممكن تتقال عنّها إنّها سيّئة جدًا، لكن، على الأقل، هي المكان الآمن السِلموا فيهو من الإنتهاكات، والقدروا، بعد زوال صوت النيران والصراخ، يقولوا فيهو «دي قصصنا» من غير خوف.

بداية الحكاية: سياق تاريخي للأحداث

عشان الناس تقدر تتابع القصص دي، لازم الواحد يمر على سلسلة الأحداث الحصلت في غرب دارفور (الجنينة) خصوصًا بعد يوم 24 أبريل. استمرار أصوات الرصاص والضرب في الخرطوم من 15 أبريل وإنتَ ماشي، خلّى السودانيين يدركوا إنّو الحرب دي مختلفة تمامًا عن أي شي سابق. كتار استقبلوا الإدراك دا في كل مكان بالحزن والخوف والهلع. لكن في الجنينة كان وقعو أعنف. لأنّو الناس في الجنينة ما إتعافوا من كل الحروب والأحداث الجات بعد 2003. من هناك، بدا الترقّب وانتظار الأسوأ يتسلّل لي قلوب الناس في الأحياء والمعسكرات ومراكز الإيواء.

24 أبريل 2023 – الجنينة:

في اليوم المفترض يتفتح فيهو السوق بعد حظر تجوال دام لفترة، كلّ الناس كانت راجية ترجع لنشاطاتها اليومية. آمال كبيرة معلقة على الإفطار الإتقرّر إنّو يقوم في المساء. لكن كلّ شي اتغيّر لمّا الناس الكانت في الشارع شافت تلاتة تاتشرات تابعة للجيش متحرّكة من شمال الجنينة لجنوبها مرّت فيها بكل الأحياء السكنيّة. ماف زول كان فاهم حاجة في البداية، لكن بعد نص ساعة، كميّة الرصّاص الانضرب من اتجاه الجنوب فهّم الناس



هادي بخيت (2024)

أيّ شي. سكّان حي (الجمارك) (القريبين من الموقع) أكّدوا حدوث اشتباك ما بين الدعم السريع والجيش، لكن ماف واحد قادر يقول بحسم إنّو منو الأطلق الرصاصة الأولى، وإلى حد كبير ده سؤال ما مجدي طالما حياة المدنيين بتتهدّد أيًّا كان البادئ.

الجنينة ما بين القبائل العربيّة والأفريقيّة:

عشان الناس تفهم كمّية التعقيدات الموجودة في غرب دارفور، لازم تعرف التكوين السكّاني بتاعها عامل كيف، بالإضافة لانعكاسو على جغرافيا المكان ومكوّنات الجيوش المختلفة الموجودة هناك. بصورة عامّة في خليط بين قبايل أفريقيّة (زي المساليت مثلًا) وقبايل عربية (زي الرزيقات مثلًا..) بيناتهم تاريخ طويل من الاقتتال والتنافس على الموارد. أغلب سكّان جنوب الجنينة (بأحيائها ومعسكراتها) بينتموا لقبيلة المساليت. جنبهم طوّالي في أقصى الجنوب في معسكر تابع للدعم السريع، وقريب منّو في قاعدة القوّات السودانيّة - التشاديّة المشتركة. الدعم السريع كان بيعتمد بشكل رئيسي على تجنيد القبائل العربية (سواء داخل قوّاتو، أو كمليشيّات شبه منفصلة)، بينما كان أبناء قبيلة المساليت بيخشّوا الجيش أو القوّات الأمنية (زي الشرطة) أو الحركات المسلّحة. وده كان عامل كبير في تفاقم الأزمة لنقطة صعب الرجعة منّها.

24 أبريل 2023 – جنوب الجنينة:

بعد ساعة أو ساعتين من الضرب المتواصل، والناس قاعدة في بيوتها في خوف وحذر، انسحبت عربات الجيش، ورجعت للقيادة العامة في (أردمتا). انسحاب الجيش العلني ده كان صفّارة إنذار لأيّ زول قاعد في الجنينة. وفعلًا، استغلّت المليشيّات الموجودة في أطراف الجنينة الفرصة وخشّت الأحياء الجنوبيّة واقتحمت المعسكرّات السكنيّة بمساعدة من الدعم السريع وقوّات تمازج. حرقوا البيوت ونهبوها وقتلوا أيّ زول لاقاهم في الشارع إما بالرصاص المباشر أو بالرصاص العشوائي.

واصلت القوّات الزحف لحدّي ما وصلت رئاسة الشرطة. ده اثبت للمواطنين تاني إنّو كل القوّات الحكوميّة المحتكرة للعنف دي ما عندها أيّ فايدة لأنّهم ما أبدوا أيّ محاولة للمقاومة، بل في جزء من الضباط هربوا ورموا أزيائهم الرسمية عشان

يندمجوا مع المواطنين. واتنهبت مخازن السلاح بالكامل، وبي كده، اتفقد شعور إمكانية تدخّل الشرطة في وقف تصاعد الأحداث المأساوية دي.
إحساس الغالب والمسيطر خلّى الدعم السريع ومليشيّاتو (في سياق التعقيد العرقي في الجنينة) يستهدفوا المساليت والمعسكرات والأحياء البيسكنوا فيها بشكل خاص، بينما ظلّتْ المناطق البتسكنها القبائل العربية آمنة. وبالرغم من محاولة بعض ابناء المساليت التابعين للحركات المسلحة الدفاع عن أهلهم ومناشدة غير المسلحين لحكومة الولاية بحمايتهم أو تسليحهم، إلا إنّو الاستهداف العرقي العنيف ده خلّى الناس يهربوا من بيوتهم ويقصدوا الأحياء الشمالية الآمنة نسبيا لأنّو الهجوم لسه ما وصلها.

مقتل الوالي خميس – الجنينة ما بعد 24 أبريل 2023:
تكرار الهجمات في الأيّام اللاحقة ليوم 24 أبريل صاحبها موجات نزوح داخليّة كثيفة، نقص حاد في المواد التموينيّة والأدوية، انقطاع للموية والكهرباء، بالإضافة للغياب الكبير للخدمات الصحيّة. كل ده كان بيحصل قدام عيون الجيش بدون أي تدخّل منو، وقدّام الأجهزة الإعلامية الكانت صابة كل انتباهها على تصاعد الأحداث في الخرطوم.

بعد شهر من الحصار على الجنينة، اتدفنت الآمال مع جثمان والي غرب دارفور خميس عبدالله أبكر الكان برضو من قبيلة المساليت. اتولى المنصب بعدو نائبو، كرشوم، الكان بينتمي لواحدة من القبايل العربية. وعلى كده، ماتت آمال الناس في وقف الاقتتال، وبقى المسعى الرئيسي لأغلب الناس هو: الهرب إلى دولة تشاد...

دم ومصايب وجثث



في 24 أبريل 2023، السما كانت صافية تمامًا، كأنّها كانت بتقول إنّو ده حيكون يوم عادي من أيّام الصيف. على الرغم من الجوطة الكانت حاصلة في الخرطوم، ما كان في بال زول إنّو ده ممكن يكون أوّل أيّام الجحيم للناس الساكنين حيّ (التضامن) في الجنينة.

«أنا زينب وكنت ساكنة في حي التضامن قبل ما أكون لاجئة في مخيّم (أدري). عمري 26 سنة وكنت شغّالة في منظّمة وطنية اسمها (إعادة التأهيل للسلام والتنمية). كنت بحب شغلي شديد لكن هسي تمّيت 5 شهور واقفة».

لمّا الجيش انسحب من مناطق الاشتباك في الجنينة، أغلب الناس اتعاملت مع الهدوء اللاحق ده بحذر، وجزو منّهم فضلوا قاعدين في بيوتهم في محاولة لإنّو يفهموا الحاصل شنو، ويفكروا في المآلات المحتملة للدراما الحاصلة في البلد كلّها. وقبل ما ناس زينب يصلوا لأيّ خُلاصات أو قرارات، مليشيّات الدعم السريع قالت الكلمة الأولى.

«الضرب في اللحظة دي دوّر تاني وبصورة أعنف. والمرّة دي ما كان بين الجيش والدعم السريع، المرّة دي كان الدعم السريع ومليشياتو في مواجهة مواطنين عُزّل. وبما إنّو حي (التضامن) واقع جنوب الجنينة بعد رئاسة الشرطة طوّالي، وصلتنا نيران الجنجويد[1] قبل الحتّات التانية، تحديدًا في الساعة إتنين ظهر».

كتير من سكّان الحي ماتوا من الضرب العشوائي للذخيرة، أيّ زول في الشارع، وحتّى في داخل بيتو، كان على بعد سوء حظ بس من الموت.

«أخوي الصغير جاتو طلقة نارية في يدّو وخالي اتصاب في رِجلو. بِكا ودموع وكواريك وصوت رصاص.. وبعدها الحياة ضلّمت في وشنا. المهم، بعد نقاشات كتيرة وصعبة، ولمّا لقينا إنّنا ما قادرين نعمل حاجة وما عندنا خيارات، حاولنا نطلع من حي (التضامن)، حاولنا نطلع في وضع الحركة فيهو كانت شبه مستحيلة».

(1) تنظيم مسلّح وظيفي شغّال لصالح القبائل العربية في دارفور.

زينب وناس بيتهم حدّدوا إنّو وجهتم حيّ (الثورة) – الحتّة الساكن فيها جدّهم. عشان ما كان عندهم فكرة عن الشارع، بدوا حركتهم بالنهار، في نص مصابين ومرضى (أمّها عندها سكّري). لكن اكتشفوا إنّو الحركة بالنهار هي زي قرار الإنتحار لأنّو مليشيّات الدعم السريع حاصرتهم في النص لحدّي ما لقوا ليهم بيت فاضي خشّوا فيهو.

«لقينا بيوت الحلة كلّها يا محروقة، يا قاعدة تتحرق، يا اتنهبت. عشنا في خوف ورعب لغاية الشمس غابت حتى قدرنا انا وامي واخواتي نواصل الشارع. حي (الثورة) في الأوضاع الطبيعية ما بعيد منّنا لكن الشارع كان مضلّم وماف كهربا وكلّ شويّة بكون في صوت رصاص».

كلّ القرائن كانت بتقول إنّو مليشيّات الدعم السريع جاية لناس معيّنين. «[أيوة] نحن المساليت[2] المقصودين بي الهجمات دي»، قالت زينب لمّا سألناها. وبحسب كلامها، حتّى وصولهم لحي الثورة ما كان ضمان لسلامتهم من من المليشيّات دي.

«وفعلا دا الحصل! يوم الجمعة 12 مايو، هجموا على حي الثورة هجوم كان عنيف شديد، دخلوا البيوت بالأسلحة والدوشكات وضربوا الناس عشوائيا، لغاية ما جات دوشكا وقفت قدّام بيت جدي الكنّا قاعدين فيهو وضربوا كل الأبواب، ودخلوا علينا في البيت. ما حأنسى أبدا كيف [لمّا] دخلوا الحوش ولقوا خالي المصاب قاعد تحت مظلّة في كرسي وبدون اي مقدمات



دم ومصابين وجثث (2024)، يوسف الأمين

(2) مساليت / مسلاتي: قبيلة بتسكن غرب دارفور ومسلاتي صفة بتطلق على انتمائو للقبيلة دي.

فتحوا عليهو النار.. قتلوهوا كدا بكل بساطة!»
بالنسبة لزينب، حياتهم كان ممكن تنتهي في أيّ لحظة. الرعب الخشّ فيهم والصدمة السيطرت عليهم من الأحداث دي كانت تجارب أشدّ وأكبر من أي شي اختبروهوا قبل كدا، وغالبًا حتكون حاجات صعب تنمحي من ذاكرتهم. لمّا الرصاص يدوّر، بيخشوا تحت السراير، وبالليل، عشان يقدر يشوفوا ليهم موية يشربوها (لأنّو ده الوقت الوحيد المناسب)، كانوا أهداف للقنّاصين المدّسين بين البيوت. «خيّرونا بين إنو نموت من العطش ولّا نطلع بالليل نجيب موية ونبقى أهداف متحرّكة للقنّاصين الفوق الجبل والبيوت...»
مرّت شهور وناس زينب في حصار وما قادرين يتحرّكوا من بيت جدّهم خطوة. ماف مستشفيات شغّالة عشان تتعامل مع الأعداد المتزايدة للمصابين (أغلبهم رجال وشفّع). الاستهداف الممنهج ليهم خلّاهم يدّسوا في البيوت وسط النسوان. البيوت دي بقت زي العيادات وبيت جد زينب بقى واحد منّهم «نسعفهم بالعندنا، وحتى الجثامين الكانت بتصلنا في البيت، بنحاول نكفنها وبندفنها بالليل. وضع كان كعب شديد بالذات للناس الصغار، دم ومصابين وجثث نحن الكبار خوّفتنا، ما قادرة اتخيل كانت مرعبة قدر شنو للأطفال ديل».
بعد الناس كترو، قامت مليشيّات الدعم السريع باستهداف البيت. وفي يوم جمعة خشّوا البيت وبقوا يسألوا في الناس: إنتو ومنو؟ وقبيلتكم شنو؟ والحقوا تحقيقاتهم دي بتهديدات بالقتل. بعدّاك، زينب وناس البيت عرفوا إنّهم ما ممكن يقعدوا في الحتّة بتاعتهم دي زيادة.

«طلعنا أنا وأخواتي وأمي ومشينا حي (الزهور) وخلّينا ورانا أخوانا الأولاد، وما بنشوفهم إلا بليل إذا لقينا طريقة نمشي ليهم لغاية اتأكدنا إنهم مشو (أمانة الحكومة)».
في الطريق لحي (الزهور)، عرفت زينب إنّهم خسروا كلّ العندهم، حتّى بيتهم خلاص بقى رماد. في كلّ محطّة بيصلوها، بلاقيهم ارتكاز للدعم السريع وبيستقبلهم بالشتايم والتحرّش الجسدي والتفتيش. السؤال الدائم في لسان المليشيّات دي هو، «وين الرجال المساليت؟»

ما كان في حكومة ولا شرطة ولا إدارة أهلية تقدر تجاوب الأسئلة أو تحميهم من المليشيّات المسلّحة دي. حتّى محاولات الشباب في التسلّح فلشت تمامًا، خلّيك من موضوع الأكل والموية والأدوية. ولمّا جاهم خبر موت والي الجنينة، زينب قالت «ده كان موت لي أملي في إنو الحكومة ممكن تتدخل.» الشي الكويّس الوحيد الحصل إنّو «اخواني الهناك كانوا محظوظين وقدروا يطلعوا ويجونا في (الامتداد)». حتّى كلام كرشوم نائب الوالي المسك زمام الأمور بعدّاك بإنّو الناس ترجع بيوتها ومافي حاجة بتجيهم ما كان كفاية عشان يمنع شكوك الناس. «ولو رجعنا بيوتنا حنموت حنموت. كل حاجة كانت بتحصل قدام عيونا..» وبنهاية الأمل في إنّو يرجعوا لبيتهم وحياتهم القديمة، قالت زينب إنّو «قرّرنا نمشي تشاد زي معظم الناس في الوقت داك».

دي كانت مخاطرة كبيرة، خصوصًا مع المصابين المعاهم، ومصاريف الشارع الما عندهم. شارع ما معروف فيهو شنو مستنّيهم. «اتوكلنا بالفي وبالمافي وبمعجزة وصلنا معسكر (أدري). بعد وصلنا ارتحنا من صوت الرصاص والإشتباكات، دا المكسب الوحيد [لكن] في مقابلو إتشتّتنا. أبوي إتفقد وما عارفينّو حي ولّا ميّت، وأخوي المصاب حالتو ماشة تبقى أخطر».

الوضع في مخيّم (أدري) برضو فيهو معاناة، فتّيش الموية ونقلها عبارة عن تلتلة للاجئين هناك. أغلب الناس بتمشي مسافات طويلة عشان تلقاها، في احتمال كبير برضو ما تتلقي.



دم ومصابين وجثث (2024)، يوسف الأمين

«الأكل زي الموية قليل لو اتلقى» ومعظم اللاجئين ما عندهم قروش يشتروا بيها حاجات من برّا المخيّم لأنّو «مافي مصادر دخل الناس تسترزق بيها».

على الرغم من كلّ المساوئ المرّت بيها زينب إلّا إنّها بتعزّي نفسها «بي إنّو.. حالي أحسن من ناس كتار وإنو في ناس مرت بي تجارب أسوأ وفي ناس خسرت حياتها. عندي تعاطف كبير مع الناس الشايفاهم بيعانوا في المخيم ونفسي اساعدهم لكن العين بصيرة واليد قصيرة. بس ياهو المساعدات الآن في يد منظمات الإغاثة». بالنسبة لزينب هي مؤمنة تمامًا «بالقضاء ودايرة أشوف الناس العملت المجازر والإبادات دي بتتحاسب عليها، وحقّنا يرجع منهم بالقانون. لو الزمن طال هم لازم يتحاسبوا وحقنا لازم يرجع. مافي سلام ولا تنمية ولا إعادة تأهيل ممكن تحصل في غرب دارفور ما لم يتحاسب كل المشاركين في المجازر الفقدنا بي سببها أهلنا وبيوتنا وحياتنا البسيطة».

أشبه القبيلة

في جزو من أدبيّات علم النفس، الفرق بين الألم النفسي والعضوي ما كبير ده اذا بقى موجود أصلًا. في ناس بيمشوا أبعد وبيقولوا إنّو الألم النفسي مرّات أكبر وعواقبو أسوأ كمان. واحدة من أكتر العقابات البيتسخدمها جنس البشر هي استبعاد أحد الأفراد برّة المجموعة الكبيرة. وفي أزمان سابقة، لمّا البشر ما كان عندهم السطوة دي على الكوكب، ده معناهو موت أحمر عديل. في الجنينة، وفي حي (الثورة) تحديدًا، مليشيات الدعم السريع (وبدرجة ما الجيش السوداني) مارست النوعين: التعذيب النفسي والإستبعاد الحرفي من الحياة تمامًا.

إسراء بتقول إنّو «أكتر شعور كعب ممكن يمر بيهو الإنسان، إنّو تحس إنّك مستهدف بلونك وقبيلتك وحتى بلسانك». الحرب بالنسبة لمواطنين دارفور ما حاجة جديدة، لكن الحصلت في أبريل 2023 كانت نوع أكتر حِدّة من السوء.

«وسط خلعة الناس والدخاخين الطالعة من اي حتة، أصعب من المرّات الفاتت. كانت بتجينا أخبار إنّو الاشتباكات صعبة في الأحياء الجنوبية، زي (التضامن) وغيرو، وياهو بطبيعة الحال وصلتنا الاشتباكات في حي (الثورة). مافي زول سِلِم من الهجمات دي، واحساس عدم الأمان ما فارقني نهائي. حسّيت إنيّ ممكن أموت في أي لحظة ولّا أكعب كمان.

كلّ الاستهداف كان على أساس عِرْقي تمامًا. الدعم السريع كان بخش البيوت وبفتّش عن المساليت بالتحديد وبصفّينا بدون ما يفكّر مرّتين. الموضوع ممنهج، والمخطّط أكبر بكتير من البتخيّلو الزول. أنا لحدّي حسي ما مصدّقة الحصل ده ولا مُخّي قادر يطلع من الصدمة الحصلتْ لي من أهوال المناظر ووحشية القتل والتعذيب الكان قدامي».

وصف «الكابوس» وصف دقيق استخدمتو إسراء عشان تقدر تعبّر عن بشاعة أفعال الدعم السريع. بالنسبة ليها «الدعم السريع بالنسبة لي، ولي غيري، كان اكبر كابوس صحينا عليهو». بالإضافة لكده، كلّ الشافتو ده بيقول ليها إنّو «الدعم السريع ما براهو، كل القبايل العربية



أشباح القبيلة (2024)، يوسف الأمين

الكانت في الجنينة ولّا الجات من برّة الجنينة كانوا مشاركين في المجزرة دي. حتى شيوخ القبايل دي كانو بقولو لي شبابهم أنو الناس ديل نوبة وعبيد ساي والمفروض نبيدهم ونغتصب الدايرين نغتصبوا ونعمل فيهم الدايرنو. وللأسف، ده الحصل طبعا. الغرض من الهجوم كان التطهير العرقي للمجموعات والقبايل الزنجية الموجودة في غرب دارفور، تحديدًا، المساليت».

شهرين من الحصار كان معناها غياب ابسط مقوّمات الحياة: الموية، والكهرباء، والأكل وغيرو من الحاجات. وفي حين وجود حوجة كبيرة للمساعدات الإنسانية في الجنينة، ممكن تقول ما كان في شي اتقدّم ليهم غير حاجات بسيطة من منظّمة الـ WFP ما كانت بتكفّي أصلًا. الناس كانت بتعتمد على نفسها وتساعد بعض في نقل الموية وفتّيش الأكل.

«في وسط البشاعة دي كلها كنت حاسه إنّو دي النهاية وكان الأمل آخر شي فقدتو بعدما فقدت جزو من أفراد أسرتي، والفِضِل عايش منّهم اغلبو اتصاب، والباقين كانوا مفقودين. كل ممتلكاتي يا اتنهبت يا بقتْ رماد وما فِضِل لي شي، حتى شهاداتي وشقى عمري كلّو راح.

وأنا شخصيًا، لأنيّ من المساليت، ولأني منتمية للحركة الشعبية لتحرير السودان شمال، كنتَ مستهدفة. ما لقينا دعم من الشعب السوداني ولا من حاكم إقليم دارفور[3]». التركيز كلّو، بالنسبة لإسراء، كان على «الأحداث الحاصلة في الخرطوم والأزمة البمر بيها إنسان الخرطوم فقط». غياب التغطية الإعلاميّة أدّاها «إحساس بعدم الاهميّة وغياب التعاطف تجاهنا كان سيء جدًا. الواقع بقول لي إنّو قيمة حياتي وحياة غيري من سكان إقليم دارفور ما بتسوى كتير.» وحسب وصفها إنو المقابلات الصحفية الاتعملت معاها قبل كدا في مخيم (أدري) إتحولت لي مقالات بس. فحاولت تاخد الحاجات بيدّها وتوثّق براها بقدر المستطاع الحاجات البتحصل ليها والمرّتْ بيهو.

«لكن التلفون الكنت بستخدمو فقدتو لأنو المليشيات كانوا بينهبوا التلفونات مخصوص عشان يخفوا أيّ أدلّة إتصورتْ أو إتسجّلت».

حتّى وهي من داخل معسكر (أدري) بتحكي القصص دي، بتشوف إنّو «موضوع الامان نسبي بس». حيعني شنو

(3) المقصود منّي أركو مناوي.

الأمان في وسط غياب الاحتياجات البسيطة؟ (قدّموا ليهم زيت وعيش مرّة واحدة بس)، وحتى الموية «لسّه تحدّي ومن الصعب تتلقي»، ناهيك عن «الأمراض والاسهالات المنتشرة».

حتّى بعد الاستبعاد من المجموعة، الفرد بيحاول يرجع ليها، احتمال يلقى حاجة تخلّيهو إنسان جدير بالبقاء. إسراء بتتمنى «إنّو الناس المتخصّصة في مجال الجرايم الدولية تلتفت للجنينة وتعرف إنّو البحصل ده ما ضرر جانبي بسبب الحرب بين الجيش والدعم السريع، وإنّو البحصل حقيقةً هو جرائم إبادة وتطهير عرقي وانتهاك شنيع للقوانين الدولية بخصوص حقوق المرأة». الجهات دي، بالنسبة لي إسراء المفترض «تحاول تصل للضحايا وتساعدهم وتسمع منّهم وتاخد شهاداتهم».

معجزات وقوة إرادة



عدد كبير من المصابين الكانوا بيحاولوا يصلوا تشاد ماتوا في الشارع نتيجة لمضاعفات الإصابة، محمد أستاذ (33 سنة)، كان من القلّة المحظوظين القدروا يلقوا مساعدة في إنّهم يصلوا وتمّ إسعافو في مستشفى (أدري) وهسه قاعد في المخيم. المساعدة اللقاها كانت مكان يبيت فيهو، بطانية، وكتف اتّكل عليه لغاية وصل لي معسكر (أبو طيرة) ومن هناك نقلوهو مع المصابين التانيين بعربات لمستشفى (أدري). ناس عاديين، هم المدّوا يدّينهم -- ما كان بيعرفهم ولا بتربطو معاهم صلة، وبالرغم من إنّها بتتشاف بسيطة، إلا إنّها أنقذت حياتو.

«االقصّة بدتْ يوم 24 أبريل لمّا كنتَ قاعد في البيت مع زوجتي وطفلي في (حي 13) جنب (الغابات) جنوب الجنينة. من الصباح كنّا بنسمع أصوات الذخيرة والرصاص وعرفنا إنّو في اشتباك بين الجيش والدعم السريع قريب لقاعدة القوات المشتركة».

وبعد انسحاب الجيش، الأحياء الجنوبية بِقَتْ مفتوحة للمليشيات، دخلوها وبدوا ينشروا الرعب، وبقوا بيعملوا هجمات متتالية كل يوم، ماتوا فيها عدد كبير من المواطنين العُزّل الكانوا بيدافعوا عن بيوتهم أو الكانوا بيحاولوا يطلعوا منها.

«عرفتَ طوّالي إنّو لازم نطلع من البيت ونمشي حتّة آمنة. هنا حياتنا مُعرّضة للخطر لأننا مساليت ولأنّو ماف جيش ولا شرطة حتجي تدافع عننا..»

وحصل ما لا يحمد عقباه، اضطر إنّو ينفصل عن أسرتو. «زوجتي وطفلي مشوا في إتجاه (أردمتا) عشان يحتموا هناك بالجيش، وما قدرتَ أمشي معاهم لسببين: أولًا لأنّو المليشيات كانت بتخلّي النساء والأطفال بس يمرّوا من الإرتكازات الكتيرة بتاعتهم، وبيقتلوا الرجال بعد يسألوهم من قبيلتهم».

والسبب التاني كان لأنّو أستاذ معروف في الجنينة وكان بيتم بشكل خاص استهداف الدكاترة والأساتذة والمحامين. افترق من أسرتو وهو ما عارف حيلاقيهم تاني ولا لا. وبعد معاناة مع القناصات والرصاص العشوائي وصل حي (المدارس).

«قعدتَ هناك لمدّة شهرين، كانت بتجينا أخبار عن الجرائم ضد الإنسانية البترتكبها المليشيات». وما بتجيهم أخبار بس، هم شافوا بعيونهم وعاشوا في ظل تهديدات مستمرّة. شهرين من الحصار ما كان بينوم كويّس ولا بياكل

كويّس، وشعورو بالأمان منعدم تمامًا.
«طـوال الفـترة دي، كنـتَ مسـتني بترقُّـب إنّـو الحكومـة تتدخّـل بطريقـةٍ مـا وتدافـع عـن المواطنـين وتوقّـف المجـزرة الحاصلـة. لكـن بمقتـل الـوالي يـوم 14 يونيـو، قِنِعتَ مـن إنّـو الجنينـة ترجـع لي حالتها الزمان».
حالـة فقـدان الأمـل دي مـا عاشـها براهـو، لأنّـو بعـد الحادثـة دي معظـم أهـالي حـيّ (المـدارس) طلعـوا مـن بيوتهـم وانقسـموا لي إتنـين، نـاس كانـوا عايزيـن يمشـو (أردمتـا) عشـان فيهـا الجيـش، ونـاس تانيـين كانـوا عايزيـن يمشـوا تشـاد لأنـو مـا فيهـا جنجويد ودعم سريع.
محمـد اختـار يمـشي مـع النـاس الماشـين (أردمتـا) عشـان يلاقـي أسرتـو الانقطعـتْ اخبارهـم مـع انقطـاع الانترنـت والمكالمـات، لكـن ما كان في طريقة إلا يستنّوا الساعة 12 أو 1 بالليل؛ بالنهار المسلحين منتشرين في كلّ مكان.
عـدد كبيـر مـن النـاس، وهـو في نُصّهـم، كانـوا ماشّـين الليـل كلّـو لغايـة مـا الصبـاح جـاء. ودا مـا مجـاز عـن انتهـاء الظـلام والقتـل، لأنّـو طلـوع الشـمس بيعنـي طلـوع المليشـيات لحصـاد المزيـد مـن الأرواح، ودا الحصل.
«فجـأة، اتحاصرنـا بالرصـاص العشـوائي مـن كل الجهـات، أنـا والنـاس المـا ماتـوا جرينـا راجعـين في اتجـاه حـي (المـدارس).



معجزات وقوة إرادة (2024)، سماح البزعي

هناك اتفاجئنا بإنّو الدعم السريع منتشر في الحِلّة و بيحرق في البيوت. هنا أيّ زول فينا جرا في اتجاه مختلف. جريتْ في الاتجاه الجنوبي لغاية ما وصلتَ حي (الجمارك) وقعدتَ مع عمي في بيتو هناك.

«اليوم البعدو، الساعة 8 صباحًا، هجموا علينا تاني في (الجمارك). المرّة دي كان في شباب مسلّحين بيدافعوا عن بيوتهم جنبنا، ذخيرتهم انتهتْ سريع وقاموا جاريين».

مع هرب الشباب المسلحين، جوا عساكر من الدعم السريع بيفتّشوا عليهم، لكن لقوا محمد وعمو. «وأوّل حاجة قالوا لينا إنتو مساليت؟ وأسلحتكم وين؟ قلتَ ليهم ما عندنا أسلحة وإنّو الشباب المسلحين ديل جرو. بعد اجابتي، جزو منّهم طلع برّا يشوف الشباب ديل جرو في ياتو اتجاه، والباقين كانوا منتظرينهم جنب باب الشارع. في اللحظة ديك جرينا أنا وعمي وتلّبنا بالحيطة. لحقنا واحد منهم وضرب عمي في راسو بالدبشك[4]. عمّي قدر يتلّب لكن وقع. واثناء ما بيحاول يقوم، فتحوا فينا قريب 11 طلقة عشوائية، ما صابتنا ولا واحدة فيهم، ودي كانت معجزة لكن ما الأولى ولا الأخيرة.

«افترقنا بعدها انا وعمي واي زول فينا جرا على اتجاه. أنا ما كنت عارف امشي وين، الجماعة ديل في كل مكان. الحاجة الوحيدة الفكّرتَ فيها انّو ارجع البيت في (حي 13). جريت على الاتجاه الشمالي وما كنتَ عارف انو الاتجاه دا فيهو كمين».

الكمين هو ارتكاز بيعملوهو الدعم السريع والمليشيات، وعادةً دي حتات بتحصل فيها مجازر: بيقعّدوا الناس في الأرض وبيفتحوا فيهم الرصاص.

«كان في كبري جنبي، وأوّل ما شفتهم من بعيد، تلّبت من الكبري ووقعتَ في الخور. هم شافوني واستغربت انّهم ما سألوني. قريب من الخور، شفتَ شجرة نيمة وقعدت تحتها لأنيّ كنتَ تعبان ومرهق. بعد مسافة، جاني واحد منّهم وقال لي انت بتسوي شنو هنا؟ قلت ليهو أنا جاي من (19) وماشي بيتي في (13). قال لي انت كَمْرَد مسلاتي؟ قلت ليهو انا ما كَمْرَد ولا عندي سلاح ولا عندي علاقة بالمسلّحين، لكن ما اقتنع وبقى يغالطني».

أثناء ما هم بيتكلّموا، ظهر شاب كان ماشي في الشارع، لمّا شافهم قام جاري. بسرعة، جرو وراهو وقتلوهو فوريًا وجوا راجعين لي محمد. كانوا زي 12 نفر، إلتفوا حولو وبقوا يقولوا ليهو يا «أمباي[7] إنتَ بتسوّي شنو هنا؟»

(4) جزو من بندقية أو سلاح ناري آخر بتتثّبت عليهو السبطانة وآلية الإطلاق. بتم تثبيت الدبشك على كتف الزول أثناء الرماية، وبيساعد الجندي في التسديد بنقل ارتداد السلاح لجسم الجندي.
(5) لفظ عنصري بيعني «عَبْ» أو «عَبْد».

«وهم بيستجوبوا فيني، إتنين منّهم اتعرّفوا علي وحصل بيناتنا حوار:
- انت يا استاذ محمد ساكن في حي (المدارس) الجابك هنا شنو؟ انت كَمْرَد مسلاتي؟
- ياخي أنا بيتنا الكبير في (المدارس) لكن بيتي هنا في (13) وانا ما كَمْرَد وما مسلّح.
- لو معاك بندقية جيبها، ولو بتعرف زول بيدافع بي بندقية، ورّينا ليهو ونحن بنوصّلك محل ما انت ماشي.
- ياخي أنا ما عندي بندقية ولا بعرف المسلّحين.
«فجأة، جوا إتنين منهم، واحد كان شايل ساطور كبير وأوّل ما شافني واقف قال: الزول دا نضبحوا؟ كلّهم قالوا أضبحوا. قال لي أرقد وارفع الشهادة!
قلت ليهو لو أجلي تمّ حتضبحني ولو أجلي ما تمّ ما حتضبحني. قام ردّ لي:
- أجلك لو تمّ ولو ما تمّ حنضبحك!»
هنا، واحد من المسلّحين ضرب محمد بالدبشك في كتفو. «أنا غضبت شديد، وأدّيت الزول الشايل الساطور بُنية لغاية وقع في الأرض. لمّا وقع، في جزو منّهم قاموا جاريين وجزو بقوا ينزّلوا تأمينات أسلحتهم في استعداد لإنّهم يضربوني بالرصاص. بديتْ أجري في الاتجاه الجنوبي، لكن ما لحقت أهرب وفتحوا فيني الرصاص: رصاصة جات في رقبتي وطلعتْ بالكتف (لكن الحمد لله، ما صابت أيّ شريان)، ورصاصة تانية صابتني في فخدي.»

بالرغم من إنّو اتضرب وبقى ينزف، لكنّو ما استسلم وواصل يجري وهم لاحقنّو، لغاية لقى بيت تلّب فيهو ولسوء الحظ لقى تلاتة من الجنجويد قاعدين ينهبوا في البيت. لمّا شافوه، بدوا يسألوهو: «أمباي انت مجروح جيت من وين؟»
«قمت طوالي جريت وتلّبت تاني بالحيطة، قطعت الشارع ولقيت بيت تاني تلبت فيهو، لكن المرّة دي لقيتو بيت فاضي مافي اي حاجة غير السور. مرقتَ منّو وتلّبت في بيت تاني للمرّة التالتة، البيت دا لقيتو هيكل بس وباب الشارع حقّو فاتح. ظاهر كان في ناس قاعدين فيهو وطلعوا لأنّو في بطّانية كبيرة مفروشة»

رقـد في البطانيـة ومسـح وشّـو وهدومـو بالـدم الـكان بينزفـو ومَتّـل إنّـو ميـت عشـان يحمـي نفسـو لـو زول شـافو، ومـا مـرّ وقـت طويـل قبـل يجـي تلاتـة مـن المسـلحين الكانـو لاحقنـو داخلـين، «ولمّـا شـافوني واحـد جـا رفـع يـدي وفكّاهـا بيحـاول يتأكّد أنا ميت ولا حي.

- دا الأمباي الضربناهو هسا؟

- اي ياهو زاتو.

- أرح نضربوا تاني في راسو.

- هو مضروب في رقبتو وكتفو ورجلو خلو يتعذب»

وخلّوهو هناك ومشـوا لكن بعدها بشـوية جو تاني داخلين زي 10 جنجويـدي كانـوا عايزيـن ينهبـوا البيـت، ولمّـا لقوهـو هيـكل ساي وما فيهو غرف طلعوا ومشوا البيت البعدو.

«بعـد شـافوني راقـد زي الميّـت والضبـان الأخـضر لامـي فينـي، بقـوا يسـألوا في بعـض هـل أنـا ميّـت مـن الصبـاح ولا أمـس، لكـن في اتنين منهم قعدو:

- شوف البطانية دي سمحة ارح نشيلها.

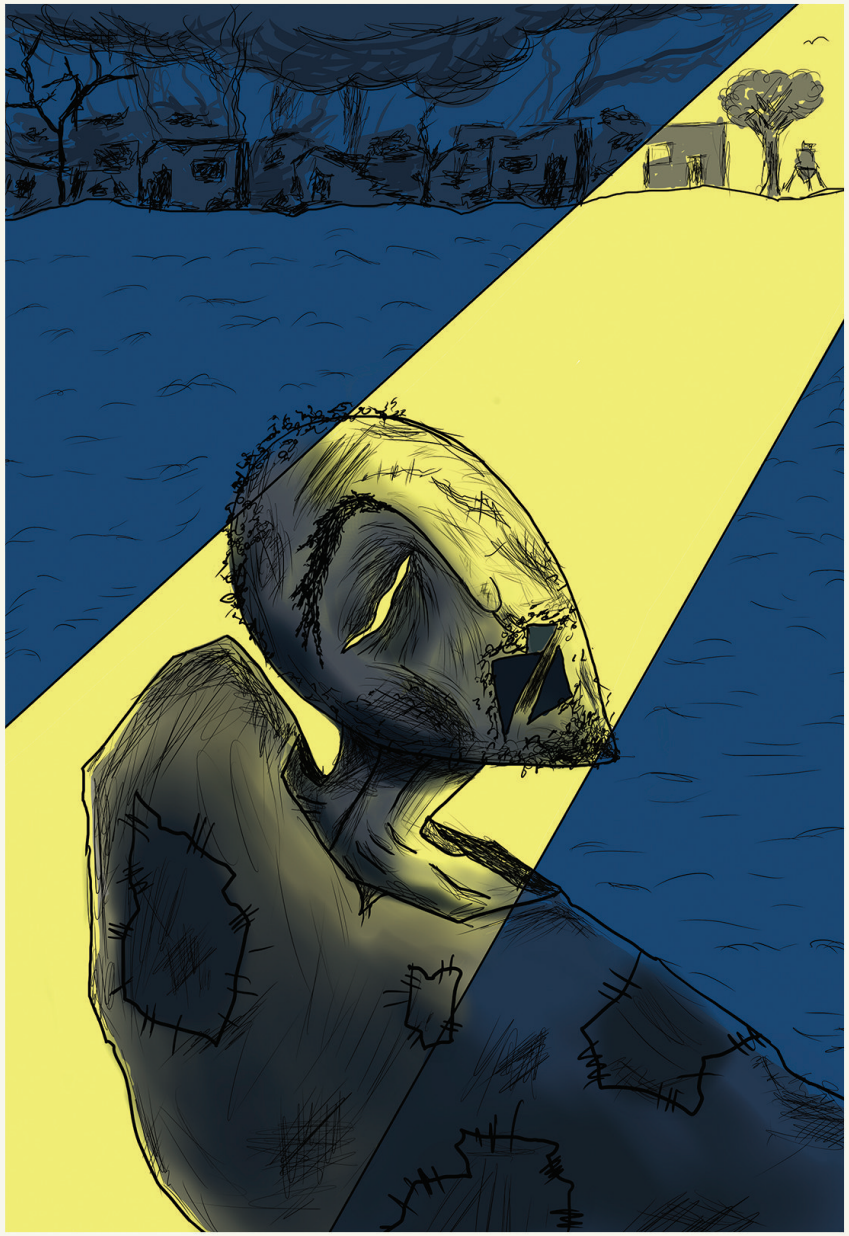
الإتنين جرّوا البطّانية وقلبوني في الأرض ولقو فيها دم.

- البطّانية دي وسخانة فيها دم الأمباي ده.

- شيلها غسّلها.

- لالا خلا خلا[6]! دم الأمباي ما بتغسل!

جدعوها في رأسي ومشوا، بعد طلعوا بي 10 دقايق جو 5 غيرهم



معجزات وقوة إرادة (2024)، سماح البزعي

(6) تعبير بيعني «خلّيهو» أو «أتركه».

داخلين وبقوا يتكلّموا فوق راسي:
- في أمباي ميت هنا.
- البيت دا شكلو مأكول (قصدهم إنو منهوب).
- أي مأكول.
واحد منّهم مشى جهة ركن من أركان البيت لقى ليهو جداد وطوّالي قال للتانيين:
- أرح نشيل الجداد دا نتعشى بيهو.
- لالا خلو بنلقى لينا عتود.
طلعوا وقفلوا الباب وراهم. ومحمد قعد في البيت لغاية ما العشا أذّن، بعدها قرّر إنّو يطلع. بدّل فنيلتو الفيها دم بواحدة نضيفة كانت مرمية في الأرض مع هدوم ناس البيت المجدّعة.
«لقيت كوم بتاع طوب ركبت فيو وتلّبتَ بالحيطة، كنتَ محظوظ لأنيّ وقعتَ في رملة خلّتْ الوقعة ما حارة، لكن برضو ما قدرتَ أقوم وقعدتَ هناك مسافة طويلة لغاية قدرتَ أقوم واتحرك تاني».
مشى في اتجاه المستشفى (التخصصي الأكاديمي). وهو ماشي في الشارع، لاقى ولد عمرو بيكون 11 أو 12 سنة شايل ليهو زول مصاب في درداقة. «لما شافني، اتخلع وخاف وانا زاتي خفت. بعدّاك دار بيناتنا حوار كده:
- انت منو؟
- أنا محمد.
- ماشي وين؟
- والله أنا عايز أمشي غرب اتجاه معسكر (أبو طيرة) أو اتجاه تشاد.
- مالك بتَحْبِي؟
- أنا انضربتَ رصاصتين وما بقدر أجري هسّة، إلا أحبي كدا.
- خلاص أنا ذاتي ماشي (أبو طيرة). نمشي سوا لكن بس عايز أوصّل أبوي دا المستشفى (التخصصي)، هو زاتو مضروب».

مشـوا سـوا في اتجـاه المستشـفى. الولـد جـارّي أبوهـو في الدرداقـة ومحمـد بحبـي وراهـم. «كان بيقيـف يسـتناني لغايـة ألحقهـم وتـاني نمـشي ونقيـف. بالطريقـة دي لغايـة وصلنـا». بعـد العنـاء دا كلّـو لقـوا المستشـفى قافلـة فاتجهـوا غـرب طوالي قاصدين معسكر (أبو طيرة).

«مشـينا ومشـينا، الشـارع كان طويـل والواطـة ضلمـة شـديد لغايـة جينـا جنـب بيـوت شـكلها معظمهـا فاضيـة». في الوقـت داك شـافوهو تلاتـة نسـوان قاعديـن قـدّام واحـد مـن البيـوت دي. محمـد كان مـاشي الوقـت دا كلـو وهـو مصـاب وبينـزف والجـو باللّيـل كان بـارد. «كنـتَ مرهـق شـديد مـن المـشي. النسـوان التلاتـة عرضـو عـلي إنّـو أرتـاح عندهـم لغايـة السـاعة أربعة صباحًا، وبعدها، أواصل المشي للمعسكر».

وافـق محمّـد وقعـد معاهـن، أمّـا الولـد وأبوهـو واصلـوا رحلتهـم لمعسـكر (أبـو طـيرة)، شـايلين معاهـم آمـال كبـيرة. «كنـتَ جيعـان وعطشـان وتعبـان. اعتـذرن لي إنّـو مـا عندهـن أكل لكـن أدوني مويـة ورقـدوني في سريـر. لكـن بالرغـم مـن كـدا، حسّـيت بالأمان، وهن طمئنوني..»

الطمأنينـة بالنسـبة ليهـو كان تعريفهـا مختلـف، لأنّـو كان حـاسي إنّـو دي ممكـن تكـون نهايـة حياتـو. «طمّنـوني لمّـا سـألوني مـن اسـمي ومحـل سـكني وين، ومـن اسـم أسرتي ووعـدوني إنـو لـو مُـتّ، حيكلّمـوا أهـلي، ولـو مـا مُـتّ يصحّـوني السـاعة أربعـة



معجزات وقوة إرادة (2024)، سماح البزعي

صباحًا أمشي مع الناس الماشين لي معسكر (أبو طيرة)». نام وهو بيفكّر في الحاجات الكتيرة الصعبة الحصلت ولمّا جات الساعة أربعة صباحًا، صحّوهو وأدّوهو بطّانية «أتغطّيت بيها وواصلتَ المشي.»

في الشارع، الناس كانت بتتحرّك في مجموعات متفرقة عشان يصلوا معسكر الاحتياطي المركزي (أبو طيرة). «لاقيت تلاتة شباب كانوا ماشين برضو. طلبتَ منّهم يساعدوني في المشي. إتنين منّهم رفضوا، والتالت، جزاه الله خير، تَكَلِني على كتفو لغاية وصلنا. جمع كبير من الناس كانوا واقفين قدام بوّابات أبو طيرة، معظمهم جرحى ومصابين».

كان واضح بالنسبة لي محمد إنو ضباط ((أبو طيرة) زاتهم شركاء في الجريمة؛ لأنّهم ما كانوا بيسمحوا لأيّ زول ما مصاب يحتمي بيهم. «أنا وما يقارب التلتمية مصاب كلّنا ردمونا في عربية واحدة بتاعة (أبو طيرة)، وساقونا بحراسة من عربات الدعم السريع لغاية وصلونا مستشفى (أدري). وهناك تمّ اسعافنا وتقديم خدمات صحّية ولو إنّها بسيطة».

نجى من الموت مرة ومرتين وتلاتة – بإعجوبة، ومعجزة وحظ. الحصل دا ما بيتصدّق لو ما شفنا محمد وسمعنا صوتو وحكايتو. وهسّة رغم الصعوبة البتواجهو في الحصول على الغذاء ومويّة الشراب والسكن الجيد في مخيم أدري، إلا إنّو «مجرد النوم بدون أصوات ذخيرة وضرب هي واحدة من النعم البشكر عليها ربنا».

أطـــ

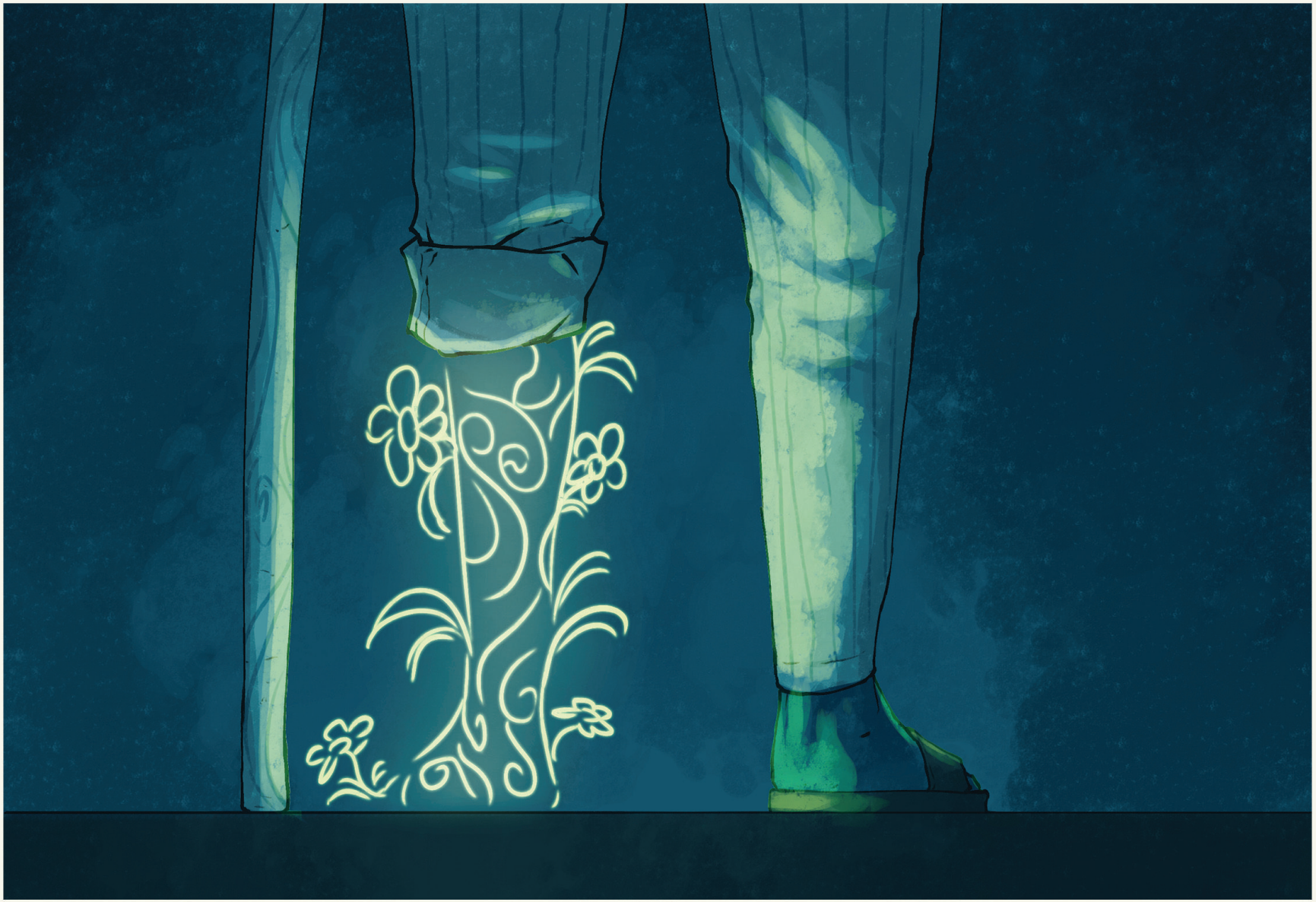
ـــراف
ـــورة

للناس الكانت ساكنة في حي (المدارس)، التوتّر الشديد كان هو سِمة الأيّام ما قبل هجوم 24 أبريل. مع ذلك، أغلب الناس كانت بتتجهّز لإنّها تواصل شغلها عادي بالصباح. لكن في اليوم دا ما صحوا بالأصوات المألوفة ليهم.

«الناس اتفاجأت بأصوات أسلحة واشتباكات عنيفة»، بيبدا أحمد (22 سنة، من حي المدارس) قصّتو بعد هجوم يوم 24. لمدّة استمرت شهور متواصلة اتحولت فيها الجنينة «لي مقبرة جثث ومدينة أشباح. يوميًا بيكون في اشتباكات جديدة، وصوت رصاص عالي من اتجاهات مختلفة. يوم بنسمعو قريب، ويوم بنسمعو بعيد. ومع قطعة الشبكة، ما كنّا قادرين نعرف الحاصل شنو، وما بنقدر نطلع الا بلّيل، وحتى بلّيل ما آمن لأنّو في كمّية من القنّاصات المستعدّة إنّها تضرب أيّ زول في أيّ لحظة بدون تردّد.

«في واحد من الأيام دي، الصباح انا كنت ماشي من بيتنا لي بيت جيرانا. فجأة، الضرب دوّر من كلّ اتجاه ولقيت نفسي مضروب رصاصة في رجلي». بعد معافرة مع الألم والخوف، قدر أحمد يرجع البيت. لكن لمّا بقى محتاج يمشي المستشفى، لقى إنّو «مافي مستشفيات شغّالة إلا واحدة وما قدرتَ أصلها إلا بعد تسعة يوم من الإصابة. لمّا مشيت، الدكاترة قالوا لي رجلك عفّنتْ ومافي حل غير إنّها تتقطع. وفعلًا دا الحصل». حسب كلامو، في أرقام مقدّرة من الدكاترة ماتوا في طريقهم للمستشفى في وقت الناس محتاجة فيهو للدكاترة شديد.

في مدينة بقت مليانة جثث، «ما كان في طريقة إنو ندفن الناس البتموت ولا نسعف الناس الاتصابو». الطامّة الأكبر حصلتْ لمّا «قوة كبيرة من الدعم السريع والجنجويد حاوطتْ الحي وبقوا يفكّوا قنابل ودانات عشوائيًا بكثافة وفي اتجاهات مختلفة»



أطراف مبتورة (2024)، يوسف الأمين

ونتيجة لكده، «في أسر كاملة ماتت وما نجى منهم ولا زول».
في ظل أوضاع زي دي، أيّ زول حيبدا يفكّر في الهرب. وأحمد كان واحد من الناس ديل. «لو قعدنا معناها حنستنّى الموت يجينا في محلّنا على شكل طلقة طايشة أو دانة عشوائية، ولو طلعنا ما معروف نعيش ولا نموت. لكن لو طلعنا، على الأقل، في احتمال إنّو نصل مكان آمن».
بدت رحلة هرب أحمد «باللّيل بعد الساعة واحدة. مشينا في مجموعات في اتجاه (أردمتا)، نسوان ورجال وأطفال. مشينا مسافات طويلة، لغاية وصلنا جنب (وادي كاجا)، وكان ملان موية. فجأة، نزل علينا رصاص تقيل، في ناس دخلو الموية وغرقوا لأنهم ما بعرفوا يعوموا، وناس اتصابوا وهم جوّا الموية، والباقين رجعوا بسبب الرصاص. أنا مشيتْ حي (الجمارك).
«الشوارع هناك كلّها كانت مردومة، تجي ماشي تلقى روحك عفصتَ جثة زول ميت». بحسب كلام أحمد، كلّ الرجال كانوا مستهدفين، ومفروض يجاوبوا على سؤال رئيسي: «إنتو مساليت؟» ولو ردّيت بنعم، «ممكن يضبحوك عادي». في جزو من الناس البيتقبضوا ديل «بيرقدّوهم في الواطة ويفتحوا فيهم الرصاص».

«أنا نجيت من حي (الجمارك) ومن الموت مرّات كتيرة، لغاية ما وصلت تشاد». في مستشفى (أدري)، لقى دكاترة يسعفوهو، لكن في نفس الوقت، «ماف زول سألني الضربك شنو أو الحصل ليكم شنو».
احتمال الناس هناك، دكاترة أو غيرهم، سمعوا قصص زي بتاعة أحمد مرّات كتيرة، وأيّ زول عارف منو الجاني على الآلاف الجو الحدود التشاديّة. «هنا الوضع آمن وأحسن من الجنينة، لكن ماف أدوية، ولا أكل كافي، وفي أطفال بيموتوا بالملاريا وسوء التغذية».
بالنسبة لأحمد لمّا يقعد ويفكّر في الحصل ليهم في الجنينة، ما بيقدر بيشوفو غير إنّو «تطهير عرقي موجّه، ومستهدفين بيهو قبيلة المساليت تحديدًا. الدعم السريع، الجنجويد، مليشيات العرب، والجيش والشرطة كلّهم مشاركين في الجريمة دي، والجيش دا هو البدا المشكلة ومشى خلّانا وما دافع عن المواطنين». والحل؟
«لازم كلّهم يتحاسبوا على جرايمهم وعلى تواطئهم مع المجرمين».

أرق





«طريقة الدق والتعذيب الكنّا بنتعرّض ليها خلّتنا نكون ما قادرين نسمع وما نكون مركزين مع حاجة، لكن بتذكّر إنّنا إتحركنا حوالي الساعة 12 وحاجة والشمس كانت سُخنة شديد»

بعد ليالي طويلة من الأرق والتفكير، بدتْ حليمة تحكي القصّة من نقطة وصولها لمعسكر الاحتياطي المركزي (أبو طيرة) بالرغم من إنو احداث مهمّة بدت قبل كدا بكتير. شافت وسمعت وعاشت قبل النقطة دي الآلام والفراق، الموت والفقد، التخلّي المفروض بقوّة السلاح. والوصول لي معسكر (أبو طيرة) كان بمثابة بصيص لضوء آخر النفق، إلا إنّو الواقع في الجنينة كان أقسى من إنّو يسمح لتصورّات النجاة دي بالتحقّق بدون يكون التمن دم الناس وأرواحهم وشعورهم بالكرامة الإنسانية.

حليمة شابة ما متزوجة (25 سنة) كانت ساكنة في مركز إيواء (وزارة التربية والتوجيه) في الجنينة. حاليًا ساكنة في معسكر (أورنق) أو معسكر (أبتنقي) للاجئين في تشاد.

القصة بالنسبة ليها ما بدت في 16 يونيو 2023، لأنّو أيّ زول ساكن في معسكرات النزوح أو مراكز الإيواء مرّ بتاريخ طويل من المعاناة بيرجع لي وقت أبعد من كدا، بسبب الجرايم الإنسانية الاستمرت في تهجير السكان الأصليين في دارفور من حتّة لي حتّة على مدى عقود وأجيال..

لكن التاريخ الجديد ده، 16 يونيو، كانت نقطة تحوّل ونوبة نزوح جديدة خلّتها تعيش في ظروف صعبة ما زالت بتعاني من آثارها النفسية والجسدية والاقتصادية.

«حوالي الساعة واحدة و نص نهارا اتحركنا من معسكر (أبو طيرة) قاصدين تشاد. نحن احتمينا بـ(أبو طيرة) باعتبارو قوّة حكومية، لكن ناس (أبو طيرة) سلّمونا للدعم السريع بعد غشّونا وقالوا لينا في أربعة عربات تابعة للدعم السريع أركبوا معاهم حيأمّنوكم لغاية ما تصلوا.»

الشكوك حول تواطؤ (أبو طيرة) كانت موجودة وبتمشي وبتجي في راس حليمة، لكن حتى بعد سلّموهم لي عربات الدعم السريع كان صعب تصديقها بسبب الخوف، لغاية ما الحقيقة ظهرت وانكشفت علنًا، بالتحديد في منطقة (تشكوري) في الحدود البتفصل بين تشاد والسودان.

«لمّا وصلنا المكان دا، عربات الدعم السريع الكانت مفترض إنها حتأمنّا لغاية نصل تشاد مشتْ قدّامنا، وفجأة، بورانا جات مواتر وعربات دفع رباعي. نزلوا منّها رجال من مليشيات الخلا كانوا لابسين ملكي وفي منّهم لابسين كاكي وكلّهم عندهم شارات وأيّ واحد فيهم لافيّ شال في راسو. حاصرونا ووقّفونا تحت شجرة شمال الردمية مباشرةً كان جنبها رهد فيهو موية.»

وقفوهم جنب الرهد دا وضوّقوهم أشكال وألوان مختلفة من التعذيب. «كنا تلاتة مجموعات، لكن وقت جوا لمّونا كلّنا في مجموعة واحدة تحت الشجرة: نسوان وبنات وشفع صغار وبرضو شباب ورجال. لمّونا عشان يعذّبونا وعملوا الحاجة دي بكم طريقة، أوّل بدوا بالدق، بعداك التفتيش (وفي الحقيقة كان تحرش ما تفتيش). الواحد منّهم بيجي كأنو عندو أمانة ختّاها في جسمك. يدخّل يدّو في جسمك مكان ما عجبو ويفتّشك. كنّا خايفين وما بنقدر نقول حاجة ولقوها فرصة عشان يعملوا العايزنّو.»

بعد التفتيش، شفشفوهم وشالوا منّهم أي حاجة، وما كان كفاية بالنسبة[8] ليهم. لدرجة في نسوان وبنات كانن لابسات حلقان واكسسوارات قطعوا ليهن أضنينهن بوحشية وما خلّوا حاجة حتى الستيانات شالوها. أنا ما كنت شايلة معاي حاجة، لكن بالرغم من كدا مسكوني ثبتوني وما وقفوا لمّا لقوا



أرق (2024)، سماح البزعي

شنطتي فاضية. بعداك دخلّوا يدينهم في صدري وبدوا يهبّشوا فيني.» وبعدّاك بدت مرحلة الإستجواب...
أوّل الأسئلة هو: «إنتو دار شنو؟ دار مساليت ولا دار عرب؟ إنتو عوين مساليت ولا عوين عرب؟»
أسئلة واضح المقصود بيها التمييز على أساس عرقي، وما كان قدّام حليمة والعزّل المحاصرين غير إنّهم يجاوبوا الإجابات الكانوا بيفتكروا إنّها حتحفظ حياتهم، رغم إنو حتى الإجابات دي ما كانت مجدية. حليمة بتواصل، «كنّا بنكضّب ونقول دار عرب وعوين عرب لكن كانوا بيدقّونا في كلّ الأحوال.»
جزء من الاستجواب كان لجمع معلومات عن شخصيات معروفة من الإدارات الأهلية، ولمّا زول يكون ما عارف ويعبرّ عن عدم معرفته، «بيقعّدوهو في الشمس ويقولوا ليهو صَنْقِع (أرفع رأسك فوق) لغاية الزول يجيهو نزيف.» ده كلّو كان مصاحب بأكعب الألفاظ والشتايم،«كانوا بيقولوا لينا إنتو عبيد! إنتو حيونات ما بشر! بيسألونا، كنتوا مستنيين شنو؟ وليه ما تقعدوا تموتوا في مكانكم؟»

وبتحكي حليمة بحرقة وألم، عن كيف كانوا بيطلبوا منهم يقيفوا في صف عشان يعاينوا ويتفحّصوا أجسامهم ويشوفوا منو الصحتو البَدَنية كويسة ومنو الصحتو متدهورة. بالنسبة ليهم الصحّة البدنية الكويسة بتعني إنّو الزول دا مرتاح ماديًا، وبالتالي، معناها لو راجل، فهو أكيد عسكري، ولو مرا معناها زوجة أو قريبة عسكري، وبناءً على الحاجة دي بيتعرّضوا للتعذيب الجسدي والنفسي بقدر أكبر من الناس الضعاف والصحتهم متدهورة.
للنساء بصورة خاصة، «كان بيتم تخييرنا بين إنّو يتم الاعتداء علينا جنسيًا ونحن موافقين، أو يتم الاعتداء علينا جنسيًا ونحن بنقاوم. في كل الأحوال، في بنات تم اختطافهن واغتصابهن في مكان ما بعيد من الكنّا قاعدين فيهو.»
قد تبدوا الحاجات دي صعبة على التصور، لكن لزول عاشها ومر بيها العجز هو الشعور المسيطر. «عساكر الدعم السريع كانوا بيتحكموا في مصيرنا بشكل مباشر، بأمر واحد منّهم ممكن نموت أو نحيا. «خلّوهم يتحرّكوا!» دي كانت كفاية إنّو مليشيات الخلا يخلّونا نتحرك بدون أيّ تردّد. وإذا قالوا «ثبّتوهم!» كان مستحيل زول فينا يتحرك خطوة واحدة لقدام.»

كان من الصعب على حليمة إنّها توصّف كمّية الضرر النفسي والجسدي والمادي بعد الحاجات الحصلت دي، وكان ظاهر في شرودها المستمر وهي بتحكي وفي تلعثم كلماتها وهي بتقول «خسرت بيتنا وكل ممتلكاتي في هجمة الجنينة، وبعد (أبو طيرة) غدروا بينا فقدت أيّ حاجة فضّلت، تلفوني وأمانات الناس المسّكوني ليها. الضرر المادي دا بالرغم من إنو كان كبير، لكن ما بيساوي أيّ حاجة من العنف الاتعرّضت ليهو.. إتصبت بطلق ناري وإتحرشوا بي، وسمعت أبشع الألفاظ والمسميات. لي درجة لما كنت بقول ليهم ما تهبشوني ردّهم بيكون: إنتي ما شايفة لونك دا كيف؟ و مفترض نغسّل يدّينا بالصابون بعد هبشناك!»

وبتحكي عن وصولها لمعسكر (أدري) والفصل الجديد من المعاناة مع الغربة، والفقر واختلاف الثقافة واللغة وغياب الحساسيّة الضروريّة لناس زيّها. «وصلت (أدري) وأسعفوني في المستشفى وكان معاي أربعة بنات إتعرضن للاغتصاب. في البداية، ما فهمونا لأنّنا ما بنتكلم نفس اللغة، وبعد فهموا، عاملونا معاملة ما حسّاسة لحالتنا.» كانوا بيشروا ليهم بـ «ديل الإغتصبوهم» أو بسألوا عنّهم كده «وين البنات الإغتصبوهم؟» وفي النهاية، على ضوء المعاملة دي، طلعت حليمة وخلّت المستشفى بسبب الوصم المستمر من الفريق الطبي والعاملين هناك.



أرق (2024)، سماح البزعي

«طلعت من المستشفى ومشيت مخيّم (أدري). ما لاقيت أسرتي لغاية هسا، وما عارفة الحاصل عليهم شنو بعد أحداث (أردمتا). وقت وصلنا مخيّم (أدري) أدونا مشمّعات قالوا لينا أبنوا بيها بيوت. الدنيا كانت خريف، والمشمّع ما كفاية إنّو يحمي زول من المطرة. كنا بنطغّى بيهو بس وبنوم. أدّونا برضو كروت نصرف بيها المواد التموينية، وصرفنا مرة واحدة كانت عبارة عن كَوْرَة عَيش لكل تلاتة نفر.»

القعدة في المخيم مليانة أحداث وأحزان برضو. مرّات الناس بيقعدوا سوا وبيحكوا قصصهم المحزنة. كلّهم بيتشاركوا صعوبة البقاء في الجنينة والطريق لتشاد. «بنحكي عن كنا وين في الجنينة وشفنا شنو. مرّات بنتكلّم عن حياة المخيم الصعبة وعن كيف التشاديين بدقّونا لما نطلع عشان نجيب الحطب أو الموية -- لكن ماف زول بيسمع القصص دي غيرنا نحن العايشنها.»

وبالرغم من محاولات منظمات الإغاثة العالمية لإنّها تسعف وتساعد اللاجئين في (أدري)، لكن نتيجة لي نقص التمويل، المساعدات دي غير فعّالة وما بتصل للناس كلّهم. وفي خضم وتصاعد الحوجات الطبية والغذائية، بتروح أصوات حليمة -وغيرها ناس كتار- وقصصهم ما بتتسمع وحكاياتهم بتتنسي.

«مرّة جاتنا جهة قالوا تابعين لي حقوق الإنسان، عملوا معاي أنا شخصيًا مقابلة كانت أشبه بالمقتطفات. وسألوني عن الحصل شنو وحكيت ليهم عن الشفتوا، عن البنات الاغتصبوهن، وعن الناس الماتوا وعن الناس الإتدقوا وعن كل المآسي الكنت حاضراها، وبعدها إختفوا، ما عرفت هم عملوا شنو بالمعلومات الأديتها ليهم ولا شفتهم تاني..»

«لسّة مرّات بفكر في الحصل ده كلّو وبسأل نفسي ليه حصل؟ ما كان عندي أي نشاط سياسي، أنا زولة بسيطة وكنت أساسا نازحة، مافي حاجة غير لوني وإنتمائي لقبيلة المساليت ممكن يكون سبب في كل الحصل ده. صعوبة التفكير في الحاجات دي مرات بتحميني النوم وبكون صاحية الليل كلو.»

أسئلة

بلا

إجابة





كيف ممكن تعيش في بيتك والموت حيداهمك فيهو بدون يدق الباب؟ كيف ممكن تطلع منّو وتعيش مع المجهول؟ كيف تقعد في حِلّة نص سكانها اتقتلوا والباقين طلعوا وخلّوا بيوتهم وراهم عشان خايفين على حياتهم؟ دي أسئلة ما إتوقع معاوية في يوم إنّو حيسألها لي نفسو لأنو حَيّهم الساكنين فيهو (أم ضوينات) حي هادي وملان حياة وسكّانو مسالمين.

«(أم ضوينات) واقع في وحدة إدارية اسمها شرق الوادي في الجنينة. عِشتَ فيهو 28 سنة بدون متاعب، إلا بس لما يكون في هجوم ولا اقتتال في إقليم دارفور كلو. ربينا في الحي دا، وإحتضنا في حرب 2003 وهجمات 2016، 2017، 2018، 2021 و2022. كانت كلّها أوقات فيها أزمات صعبة وخسرنا فيها كتير، صمدنا فيها وصمدتْ معانا أم ضوينات.» لكن أيّا كانت صعوبة الأزمة وبشاعة الجرائم والإنتهاكات، معاوية مؤمن إنّو ماف حاجة أكعب من الحصل ليهم في 24 أبريل 2023.

«أوّل ما الحرب قامت في الخرطوم، حصلتْ هجمات في (فوربنقة) و(بيضة)، ماف زول اتكلّم عنّها ولا جاب سِيرتها في الأخبار. الهدوء بعد الهجمات دي هدوء كان ما قبل الإبادات، لكن ما كان في زول، بعد ده، متوقّع إنّو الجنينة تتحوّل لمسرح جريمة كبير على مرأى ومسمع الحكومة والإعلام والعالم الإتعاموا عن القاعد يحصل لينا.» الشباب في ولاية الجنينة، بعد ما شافوا الشافوهو، قرّروا إنّهم يتحرّكوا عشان يتداركوا الموقف.

«كان في مجهودات من شباب الولاية إنو يقيفوا في وش الحرب ويمنعوا إنّو الوضع يصل مرحلة التفجُّر. بتذكّر إنّو اتعَمَلتْ مبادرة (معًا من أجل استقرار الجنينة) شاركوا فيها شباب الجنينة النشيطين وكان معاهم الوالي والإدارات الأهلية».

لكن جوّة الجنينة الأخبار كانت بتنتشر بين الناس وفي الحلّة. فشلتْ محاولة حفظ الأمن في



أسئلة بلا إجابات (2024)، هادي بخيت

في الجنينة بي الاشتباك بين الجيش والدعم السريع يوم 24 أبريل وموت الآلاف بعدو.
«جزء من التخطيط كان بيحصل في (أم ضوينات)، عشان كدا كنّا قادرين نشوف الهجوم والحصار الحصل كلّو من البداية. المليشيات دي جات من كلّ الإتجاهات: من الضعين، الفاشر، وزالنجي. شفناهم وهم داخلين وشفناهم وهم بينهبوا السوق والمؤسّسات والمخازن والمستشفيات. نهبوا كلّ مكاتب الإغاثات بتاعة الـWFP[7]، كانوا بيخشّوها مع الدعم السريع بحُجّة إنّو عايزين يأمّنوها من السرقة، لكن في الحقيقة هم السرقوها. بعد نشّفوا كلّ المخازن وشالوا أيّ حاجة ممكن تتشال، بدوا يستهدفوا الشخصيّات المهمّة: الدكاترة، والأساتذة، والمحاميّين، وخصوصًا، السياسيين والناشطين في موضوع حقوق الإنسان».
الواحد بيتوقّع، في لحظات زي دي، من قوّات بتقول إنّها واقفة مع الشعب السوداني وتحديدًا مواطني إقليم دارفور إنهّا تحاول تنظّم مسألة توزيع الموارد المتاحة، وتتعاون مع كلّ الجهات، منظّمات، إدارات أهليّة، أو شباب خايفين على بلدهم، عشان يهدّوا الوضع ويحفظوا سلامة المواطنين. ليه، طيّب، بدوا يستهدفوا الناس ديل بالتحديد؟
«أنا بفتكر إنّو السبب هو خوفهم من إنّو الناس المتعلّمين والمثقّفين يكتبوا عن الجرائم دي ويوثّقوها، ودا نفس السبب الخلّاهم أوّل ما يلقوا زول [في طريقهم] يشيلوا تلفونو أوّل بعدها يقرّروا حيعملوا معاهو شنو». فعلًا، زي ما قال معاوية، حاجات زي «السرقة والنهب، الاغتيالات والتعتيم الإعلامي المقصود، الإبادات الجماعية، والاغتصاب» حتخلّيهم عرضة لضغوطات اعلاميّة وسياسيّة كبيرة لو كل طلعتْ القصص دي للناس.

ماف حاجة كانت بتميّز (أم ضوينات) عن باقي أحياء الجنينة، كل الناس عاشوا في نفس الحصار: أزمة أكل ومويه وأدوية. بالإضافة طبعًا للخوف والهلع اللي ممكن يحصل في أيّ لحظة. معاوية بيشهد إنّو مليشيّات الدعم السريع «كانوا بيخشّوا لينا في البيوت مرّة بحُجّة إنّو في قنّاصة في راس البيت ومرة بحُجّة إنو في ذخيرة جاتهم من اتّجاه البيت ولازم يفتّشوهو. الحقيقة إنّو التفتيش دا كان إرهاب بس وماف أيّ أسلحة. كانوا بيلقوها فرصة عشان يسمّعونا أكعب الإساءات – إساءات كلّها عنصرية وقبلية».

(7) برنامج الغذاء العالمي للأمم المتحدة.

وفي واحدة من أبشع الجرايم الشافها معاويّة شخصيًّا بقول فيها إنّو «كان في واحد من أولاد الحلة إسمو أحمد جاء ماشي في الشارع لقوهو ناس من المليشيات وهُم بينهبوا في بيت. وقّفوهو وسألوهو من سيد البيت، ولمّا قال ليهم ما بعرفوا ساقوهو جوا قتلوهو وحرقوا البيت وخلوهو هناك [في البيت المحروق]».

ضاق الوضع وبقى ماشي للأكعب، وكلّما ضاق أكتر، كانت (أم ضوينات) بتفضى من الناس. هنا كانت بتراود معاوية أسئلة زي «هل نطلع نلحق باقي الناس ونمشي تشاد؟ هناك المستنينا شنو؟ هل حنقدر نعيش هناك؟ هل حنقدر نوصل أساسا؟»

الآن، معاوية متواجد في مخيّم (أورنق) في تشاد بعد فترة من المعاناة في الجنينة وفي الشارع لي تشاد. «الحالة أحسن يعني من الجنينة لكن لسّه مصيرنا مجهول ولسّه ما عارفين حنصمد في ظروف المخيم القاسية دي لمتين. ظروف قاسية لدرجة إنّو لو في زول عيان ولّا مصاب إلا نودّيهو مخيّم (أدري)، [على] مسافة 50 كيلو مننا، لأنّو هنا مافي مراكز ولا عيادات وحتى لما نمشي (أدري) ماف فرق كبير، المصابين بيحوّلوهم لأماكن تانية لأنّو مافي عمليّات في أدري برضو.

«الأكل في تلتلة شديدة، وفي تدخّل من منظّمات إغاثة لكن تدخّل بطيء وما بيصل الناس كلّها. أنا مثلا أخدتَ مؤن غذائية في أوّل شهرين، لكن تاني ماشين ومتوكّلين على الله بس».

هل جيّتهم لتشاد كانت غلط؟ سؤال بيتردّد في راس معاوية بسبب صعوبة حياة المخيّمات، خصوصا على النسوان والشفّع، والوضع الأمني الما مستقر خلّا ناس كتار يسألوا نفسهم السؤال دا.

«لكن كان ممكن نعمل شنو؟ وكان ممكن نمشي وين؟ والآن نعمل شنو ونمشي وين؟ هل بيوتنا حترجع؟» دي كلّها أسئلة بدون إجابات، بيسألوها لنفسهم الناس العايشة في المخيّمات دي لأنو ماف زول عندو إجابات، ولأنّهم حاسّين إنّو أصواتهم ما مسموعة.

«الحاجة دي خلّتني أفكر في الحرب العالمية الأولى والتانية، في حرب أوكرانيا وروسيا وفي كل الحروب البتلقى إهتمام من المجتمع الدولي والإقليمي، وطوّالي بيجيني في راسي سؤال جديد: هل دم الإنسان السوداني ما بنفس أهمية دم الإنسان الأوروبي والعربي؟»



حق تقرير المصير

في حتة تانية من حي (التضامن)، وفي نفس الوقت الكانت فيهو زينب وأسرتها بيصارعوا أسباب الموت بي أسباب البقاء، كان موسى بيعيش في نفس التجربة، بنفس حدة المشاعر زي الخوف، والغضب والفقد..

«أنا موسى، مشهور ومعروف وسط أهالي حي (التضامن) بالخال، شاب عمري 35 سنة كغيري من الشباب غير المتزوجين بطمح لي تأسيس أسرة رغم إنو في ناس كانوا شايفين إنو طموحي دا أكبر من طموح زول ساكن في مركز إيواء مدرسة (صلاح الدين الأيوبي) وبيعافر كل يوم عشان لقمة الأكل.»

الخال، زي ما كانوا بنادوهو ناس الحلّة، كان عندو شعبيّة في الحي برغم إنو جاهو كنازح في 2021. وأساسًا إتولد وإتربى وعاش في منطقة (تنقوري) لغاية سنة 2003 المخيفة والإبادات الحصلت فنزح مع أهلو لي مخيم كرندق.

«قعدنا في مخيم (كرندق) 16 سنة قبل نجي حي (التضامن) ونسكن في مركز إيواء (صلاح الدين الأيوبي)، المركز دا مدرسة ساكنين فيها أسر كتيرة وواقعة جنب بيت سلطان المساليت، ولو إنت مسلاتي زيي، دا مكان آمن تعيش فيهو.. كنّا بنفتكر إنو الإدارات الأهلية حتحمينا لو حصلت أي حاجة. إتعودت على حياة النزوح، لكن كنت عايز اتزوج وأستقر وأخليّ المركز». لكن في يوم 24 أبريل، والأيام البعدو، قطعتْ أحلامو دي أصوات الرصاص وصرخات الموت.

«التجربة ما كانت جديدة علي وعلى كل الساكنين في المركز، لكن الحصل دا كان أصعب من أي حاجة عشناها وشفناها قبل كدا. الموت كان كتير وعشوائي، ريحة الجثث مالية الشوارع، وما كان بقيف، كل يوم عدد الجثث دي بزيد..»

بعد الساعات والأيام الأولى بس من إنسحاب الجيش، اتحرقت معظم مراكز الإيواء والمخيّمات في جنوب الجنينة وبقتْ رماد..

«لمّا الأحداث بقت ماشة بالوتيرة السريعة دي سقت ناس البيت الكبار وودّيتهم الأحياء الآمنة، زي حي (المدارس) وحي (المنصورة). هي زاتها آمنة نسبيا لأنها أحياء شمالية، والمليشيات كانت مركّزة في البداية بس على أحياء الجنوب زي (التضامن) و(الجمارك) – وديّتهم هناك وأنا بفكّر إنو يمكن ما ألاقيهم تاني. يمكن يموتوا ويمكن انا أموت. ما كنت عارف الحياة مودّيانا وين، بس كنت حاسيّ إنو دا الوداع. وأنا مليان بالشعور دا، خلّيتهم هناك ورجعتَ حي (التضامن)، قعدتَ هناك مع شباب زيّي.. مستنّين مصيرنا».

شـهرين مـن الحِصـار، معاهـا قطعـة مويـة، وشـبكة الإتصـالات، والأكل. عـلى عكس التصـور الشـائع، مـافي زول كان بيقـدر يعيـش براهـو في الظـروف دي، بيقولـوا الفقـرا اتقسـموا النبقـة، لكـن مـوسى والمعاهـو ما كانـوا فقـرا بـس، كانـوا فقـراء ومحاصريـن بي أسـلحة تقيلـة وخفيفة.

«كل يـوم في الشـهرين ديـل كان الهجـوم بيتجـدد بـالسلاح. البحـاول يمـشي يجيـب مويـة مـن (وادي كاجـا) ولّا مـن الدونـكي[8] في (المنصـورة)، بيمـوت. كلّ يـوم - لمـدّة شـهرين - كان عـدد النـاس البتمـوت والمصابـين لـو مـا زاد عـن 200 مـا بيقـل عـن 100 شـخص. كل يـوم كنـتَ بفكّـر إنـو أنـا إحتـمال اليـوم البعـدو أكـون زايـد واحـد للأعداد دي، ولا جثة تانية مَرميّة في الشارع».

مـع ضيـق الخيـارات وضعـف فـرص النجـاة، مـوسى قـرّر يمـشي في اتّجـاه الجنـوب لي حـي (الجـمارك) ومنّهـا يحـاول يمـشي تشـاد، وزي غـيرو مـا كان عـارف يتوقّـع شـنو حيحصـل في تشـاد ولّا في الشـارع ليهـا، لأنّـو مـاف وسـيلة النـاس تتواصـل بيهـا مـع النـاس وتعـرف الحاصـل شنو، سواء في الطريق أو الوجهة.

مـوسى و14 شـاب مـن حـي (التضامـن)، اتحرّكـوا وخلّـوا



حق تقرير المصير (2024)، هادي بخيت

(8) بئر الماء.

وراهم أهل ما عارفين حصل ليهم شنو. خلّوا بيوتهم وحاجاتهم وأحلام بسيطة زي حلم موسى في الاستقرار وتأسيس أسرة. كل الشايلينو معاهم هو أمل الوصول لي (أدري). حقيقة إنهم 15 شاب من المساليت كانت براها كفاية لي إنهم يكونوا فريسة لي مسلّحين ما بيفهموا غير منطق الطبنجة والآربجي.

«مشينا واتوكلنا بس. في الشارع، كنتَ حاسي بالشوط الكبير القطعناهو خطوة خطوة، كأنو لينا أيّام ماشين. وبالرغم من كدا، كنتَ بديت أحس إنّو يمكن نصحى من الكابوس دا في مكان أحسن».

فجأة، ومن حيث لا حيث، وقعتْ جمبهم قذيفة رمت ايّ زول في حتة. سكتتْ تأملات موسى في الماشي والجاي، واتكلّم بدلها صوت الإنفجار، الدخان والغبار ملوا المكان كلّو. عشرة دقايق كاملة مرّتْ لحدّما أي زول نجا من القذيفة قدر يتأكّد هو حي ولّا ميت.

«صحيتْ وعاينتَ للناس المعاي وأي زول فيهم مجدوع في حتة، حسبتَ سبعة نفر منّهم اتصابو، واتنين كان ظاهر إنو اتصابو بجروح خطيرة. ما انتبهت للحاصل معاي إلا لمّا ما قدرت أحرّك يدّي اليمين، بعدها لقيت نفسي اتصبت أنا زاتي بتمنية رايش وجروح في الضهر . كنتَ حاسي إنو دي النهاية».

في اللحظة البيتصاب فيها زول بيتحول بحكم الظروف ديك لي عبء على نفسو وعلى الناس المعاهو، أو ده الممكن يحس بيهو الواحد في اللحظات ديك.

بيواصل موسى إنّو «بديت أحس بالآلام الجسدية وإتبدّد بصيص الأمل ولو كان مجرد تأملات. صاحبي فضل رجعو لي. بيقولوا أيّ زول بيشيل نصيب من إسمو، فَضل شالني في ضهرو مسافات طويلة في الشارع من حي (الجمارك) لغاية تشاد، وأنا بين واعي وغمران ودمي بيدفق – نمشي ونقيف كلّ شويّة عشان نرتاح».

إتجدّد الأمل عند موسى للمرّة التانية لما شاف القوات التشادية بتستقبل الناس وفي عربات إسعاف واقفة ومستعدّة. إتجدّد بطريقة أقوى المرّة دي رغم إنو كان بيغالب الصوت البقول ليهو إنّو بيهضرب، ركبوا الإسعاف وودوهم مستشفى (أدري). لما وصلوا لقوا عدد كبير من المصابين وعدد أكبر من أهلهم مستنين برا المستشفى.

«ما كنت متوقّع إنّو ممكن ألاقي أصحابي ولا ناس من الحلة تاني. لكن بمعجزة، لاقينا فِردنا هناك وورّوني إنّهم لاقوا ناس بيتنا في مخيّم (أدري). دا كان أحلى خبر اسمعو، وحسّيت إنيّ محظوظ لأنّو في ناس كتار أسرهم اتشتّت

وما عارفنّهم وين وأعداد المفقودين كبيرة.
«قعدت في المستشفى شهر كامل حتى خرّجوني. في فترة الشهر دا أصحابي كانوا كل يوم بيجيبوا لي الأكل والمويه والأدوية البحتاج ليها لأنو مستشفى (أدري) فيها نقص الأدوية وخدماتها ناقصة – المصابين كتار ومافي حتى غرف عمليات. أقصى حاجة بيقدرو يقدّموها هي نضافة الجروح. لغاية اللحظة البحكي ليكم فيها القصة دي، أنا لسّة محتاج لعملية جراحيّة».
وبالرغم من حساسية الوضع وعدم تشافيهو الكامل طلع من المستشفى ومشى مخيم (أدري) ولاقى أسرتو هناك. الموضوع كان بالنسبة ليهو زي ما وصّفو «معجزة». كانت اللقيا عاطفية وملياانة دموع وأشواق وأحاديث وأخبار شجية وحزينة.
«فلان الفلاني أبوهو إتفقد، بيت ناس فلان إتحرق، قريبنا الفلاني مات وما اتدفن..
وأنا بسمع في الأخبار الحزينة دي كل يوم بفكّر: أنا فقدتَ كل العندي -على قِلّتو- بعد مركز الإيواء اتحرق. كانتْ حاجة صعبة الواحد يقعد ويتذكّر ويحكي هو مَرَّ بشنو، لكن، ومع كل المشاعر دي، بتذكّر بوضوح إنو العمل الجرايم دي كلّها كانو الدعم السريع،



حق تقرير المصير (2024)، هادي بخيت

والمليشيات المتحالفة معاهو، و(تمازج) -بتواطؤ من الجيش- جهاز الأمن، الشرطة، والإدارات الأهلية الكانو على علم بكل الحاجات الحصلتْ وانسحبوا وما دافعوا عنّنا كمواطنين».

لكن الأفكار دي بتتبدّد سريع لما يعاين ويتأمل شكل الحياة في مخيم (أدري)، مافي إختلافات كبيرة عن شكل الحياة في مركز الإيواء في الجنينة؛ لكنو أصعب. ما عندو بيوت، وموية الشراب ما متوفّرة ولا حتى الأكل. معافرة شديدة عشان الواحد يعيش بس.

«في البداية كانت في منظمة وزّعت لينا مواد تموينية: كل 4 نفر في صحن عيش. رغم إنّها ما منطقيّة، لكن هسّا مشى شهر بدون أيّ إغاثات جديدة. وللأسف لسّه الموت ورانا: قبل كم يوم قريبتي ماتت بالحصبة. الخبر دا كان مخيف ومحزن وخلّاني أفكر نحن نجينا من الجنجويد بي أعجوبة لكن هل حنقدر ننجوا من الجوع والعطش والمرض؟

«أنا كموسى بعد ما عشت تجربتين نزوح وتجربة لجوء، وما بينهم إصابات وخسائر مادية وبشرية، بقيت ما قادر أشوف غير الإنفصال كإجابة لسؤال: كيف الحق يرجع؟ أنا واحد من الناس البينادو بي حق تقرير المصير للأقليم، لأنّو الحكومة السودانية فشلتْ في إدارة الإقليم وحماية أهلو على مدار التاريخ، بل كانت هي المفتعلة لإبادات جماعية للسكان الأصليين أصحاب الأرض والحواكير؛ ودا كلو طمع في الثروات المعدنية الكتيرة الموجودة في أراضي دارفور».

ممكن ما نكون عارفين هل رغبة موسى في تكوين أسرة لسّة موجودة، لكن العارفينّو تمامًا، مع جروحو ووضعو السيّء في مخيّم (أدري)، إنّو قائمة أولياتو اختلفتْ تمامًا هسّا، وما معروف لمتين بالضبط.


Faculty of Medicine -
University of El Geneina
كلية الطب - جامعة الجنينة
اردمـــــتـــا
المستشفى التخصصي
الأكاديمي
أمانة حكومة ولاية
غرب دارفور
معسكر/مخيم
كرندق
معسكر القوات السودانية
التشادية المشتركة
حي المدارس
وادي كاجا
جامعة الجنينة - El
Geneina University
أم ضوين
A5
رئاسة الشرطة
معسكر الدعم السريع
السوق الشعبي
- الجنينية

مـــلـــحـــق

- **دبشك :** جزء من بندقية أو سلاح ناري آخر، والذي تثبت إليه السبطانة وآلية الإطلاق. يتم تثبيت الدبشك على كتف الشخص أثناء الرماية، ويساعد الأخمص في التسديد ويتم نقل ارتداد السلاح إلى جسم الرامي من خلاله.
- **كمرد:** قائد.
- **مساليت / مسلاتي:** قبيلة تسكن غرب دارفور ومسلاتي صفة تطلق على لإنتمائه لهذه القبيلة
- **أمباي:** لفظ عنصري يعني (عب).
- **جنجويد:** تنظيم مسلح وظيفي يعمل لصالح القبائل العربية في دارفور.
- **خلا:** المكان الّذى لا ساتر فيه من بناء ومساكن وغيرهما.
- **WFP:** برنامج الغذاء العالمي.
- **حاكم إقليم دارفور:** المقصود مني أركو مناوي.
- **سلاح 60 124:** نوع من الأسلحة الرشاش.
- **الدونكي:** بئر الماء.

الفـنانين المـشاركين



هادي بخيت

@hadi.bkhite



سماح البزعي

@sama7arts



يوسف الأمين

@yakam_dudes

